

من تراث الغمارى

السيف البتار

لمن سب النبى المختار

صلى الله عليه وسلم



لأبى الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى



السيف البتار

لمن سب النبي المختار ﷺ

لأبي الفضل

عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري عفا الله عنه

تحقيق أ/ صفوت جوده أحمد

الطبعة الثالثة

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

مزيدة ومنقحة

جميع حقوق الطبع والنشر والتوزيع

محفوظة للناشر



تأسست ١٩٣٥م



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

١٩٩٦ / ١٣٦١٨

الترقيم الدولي I.S.B.N

٩٧٧-٥٤٣٧-١٦-٤

جميع حقوق الطبع والتحقيق والتعليق والنشر والتوزيع والنقل والترجمة والاقتباس محفوظة

حسب قوانين النشر

خاصة بمكتبة القاهرة لصاحبها:

على يوسف سليمان وأولاده

١٢ شارع الصناديق بالأزهر ت: ٢٥٩٠٥٩٠٩

١١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت: ٢٥١٤٧٥٨٠

جوال: ٠١٢٢٢٧٥٠٩٤٢

رمز بريدى ١١٥١١ - الأزهر - القاهرة

Alqahirah@yahoo.com - Tarekali@yahoo.com

من عاب أو سب النبيَّ فحكمه

سيف يجلله قتلاً وتفريعاً

هذا قضاء المسلمين جميعهم

لا خلف بينهم ولا تفريعاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

سيدي، يا رسول الله،

التحيات لله والصلوات الطيبات،

السلام عليك - أيها النبي - ورحمة الله وبركاته،

السلام علينا، وعلى عباد الله الصالحين،

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبد الله ورسوله،

اللهم، صل وسلم على سيدنا «محمد» وعلى آله، وصحبه وتابعيه .. إلى يوم

وبعد:

قال ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

أمر إلهي للرسول بالصبر على مزاعم المكذبين ومناوراتهم ثم هداية له وتبيان صبر وهجر ذلك الهجر لا يكون هجراً قاسياً صارماً لا رجعة فيه، لا، إن ذلك ينفر الناس ويبعدهم عن الدعوة والداعية بل هجر «جميل»، يتسق مع مهمة الهادي المرشد.

ورسول الله لاقى في سبيل نشر رسالة ربه ألواناً من السخرية والاستهزاء والنفس قد تنحرف أو تخور أو تخون وتستسلم عندما تواجهها شدة أو أزمة نفسية أو سخرية قاسية أو استهزاء مريع والقرآن يعرض على رسول الله تلك الشرائع ويقص ما لاقاه الرسل من قبله من العنت والشدة ومن المؤامرات والسخرية، ليثبت محمد كما ثبت زملاؤه من قبل وليصمد كما صمدوا.

﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، ويبين له الطريق الذي سلكه الأنبياء من قبل حيال مكذبيهم ليسلكه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا﴾ [الأنعام: ٢٤]، ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وكان من الطبيعي أن يدعو القرآن محمد إلى سلاح يتسلح به تجاه أعداء الدعوة .. سلاح فيه البشارة وفيه تطمئن لفؤاد الداعية .

سلاح الصبر، الصبر يتسلح به سيدنا محمد ﷺ حتى يتغلب على اليأس إن انتابه يأس، ويتغلب على القلق إن جرفه تيار القلق إلى أودية بعيدة من الفتور والسلبية أو القعود والنكوص .. الصبر الإيجابي .. البعيد عن التخاذل والتواكل والاستسلام .

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَوْلَا أَنَّا نَذَارُكَ نِعْمَةً مِن رَّبِّهِ لَكُنْبًا بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاصْبِرْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)﴾ [القلم].

وسلمان رشدى الذى روجت مراكز التبشير والتنصير والاستشراق والاستعمار بأنه مسلم هندى من كشمير هو فى الواقع شيطان رجيم بريطانى من أكثر من ثلث قرن من الزمان وإذا كان هذا الشيطان بريطانى الجنسية، وريبب بريطانيا، فلاشك أنه «كادر» من الكوادر التى استخدمتها بريطانيا - ولا تزال - فى التبشير والتنصير .. ومحاولات النيل من الإسلام ومن نبي الإسلام . ومن زوجات الرسول الطاهرات .

الشيطان سلمان رشدى ليس هو أول المبشرين ولا هو أول المنصرين أنه حلقة فى سلسلة طويلة من هؤلاء الشياطين التى أعدتهم وتعددهم مراكز التنصير والاستشراق والاستعمار فى العالم وهذه المرة جاء التطاول على الإسلام فى صورة رواية اسمها «آيات شيطانية» .. كتبها سلمان رشدى بحقد على الإسلام وبنى الإسلام، وأعطته مراكز التبشير جوائز سخية على ذلك .

وسلمان رشدى هو أداة، على علمائنا أن يفقهوهم ويؤكدوا لهم أن الإسلام هو دين الله .. الدين المؤمن الذى نزل من عنده وعلى السياسيين المسلمين أن يتعاملوا مع هذه المراكز ويكشفوها وليس مع الأدوات .

أن ما حدث من إهدار دم سلمان رشدى دون مكاملة، هذا ضد تعاليم الإسلام فينبغى .. فينبغى محاكمة سلمان رشدى كمرتد . وإذا عاد إلى حظيرة الدين يعفى عنه، وهذا هو

الإسلام السمح الذى ينبغى أن يسود وهو سيد إن شاء الله^(١).

وأخيراً فإن الإسلام دين الله الحق لا يتأثر ولا يهتز بمثل هذا الكلام .. لأننا نعلم أنه سيزول .. ويتهى من الأسماء والأبصار سريعاً .. ولن يتأثر هذا الدين العظيم بكاتب من الدرجة العاشرة قال ما قاله .

أما رسول الله ﷺ فهو فى قمة الدنيا والآخرة .. العالم كله يسبح ويصلى عليه .. وهو أكرم خلق الله وأحبهم إلى الله .. وهو الذى نزلت عليه أعظم الرسالات السماوية التى حولت مجموعة من العرب يقتل بعضهم بعضاً ويحارب بعضهم بعضاً حولتهم فى سنوات قليلة إلى أمة سادت الدنيا كلها .

(١) بتصرف من مقال الأستاذ أحمد أبو كد مجلة التصوف الإسلامى العدد ٣ - السنة ١١ ص ٣٠ .

بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق

قال فضيلة الإمام الأكبر: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

وبعد:

فقد ورد إلى الأزهر الشريف:

أنه صدر في بريطانيا كتاب بعنوان: «آيات شيطانية» لمن يدعى / سلمان رشدي - من أصل هندي ويحمل الجنسية البريطانية يتعرض بالتجريح لسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، ويسئ إلى زوجاته وأصحابه ﷺ. في أسلوب قصصى: فيه أكاذيب وافتراءات من وهم الخيال لبعدها عن حقائق الإسلام.

ويبدو أن ما دفعه إلى هذا حق الملاحظة على الإسلام، والرغبة في الارتزاق من أيدي أعداء هذا الدين الحنيف.

ولقد أثار هذا الكتاب قلق الأوساط الإسلامية في بريطانيا فنهضت الجمعيات والمنظمات الإسلامية هناك للنشر تنديداً بالكتاب، وتعريفاً بما يحمله صاحبه في قلبه من سوء، ثم رفعت إلى القضاء دعوى ضد دار النشر التي تعاونت معه.

ولقد عقد كل من مجلس سفراء الجامعة العربية، ومجلس أمناء المركز الإسلامى في بريطانيا جلسات خاصة لاتخاذ ما يجب عمله تجاه هذا الجرم الصريح.

وإن الأزهر الشريف ثقة منه بهذه الأنباء التى تواترت عما يحمله هذا الكاتب وكتابته من سوء المقال عن الإسلام ورسوله ﷺ وآل بيته وصحبه ليدعو الهيئات والمؤسسات الإسلامية في بريطانيا إلى التضامن نحو اتخاذ الإجراءات القانونية لمنع تداول هذا الكتاب.

كما يدعو الدول الإسلامية والعربية إلى حظر دخول هذا الكتاب إليها وإلى مقاطعة دار النشر التى أصدرته ومنع مطبوعاتها من التداول في البلاد الإسلامية.

ويدعو الأزهر الشريف منظمة المؤتمر الإسلامى إلى أن تأخذ دورها في مواجهة مثل

هذا التزييف لتاريخ الإسلام وحقائق رسول الله ﷺ .

ويشكر الأزهر كلاً من حكومة باكستان وحكومة الهند على مسارعتهما إلى التقرير بمنع دخول هذا الكتاب وحظر تداوله بالبلدين .

ويدعو الأزهر الشريف كافة الهيئات والمؤسسات الإسلامية أعضاء المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة للقيام بما يجب إزاء هذا النشر الخبيث، وإلى حين اجتماع هيئة رئاسة هذا المجلس في الشهر القادم .

هذا: ولخطورة المعلومات التي وردت إلى الأزهر عن هذا الكتاب وكاتبه، وما فيه من إلحاد وأباطيل عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ وآله وأصحابه قد وجهت الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة بمجمع البحوث الإسلامية إلى اتخاذ إجراءاتها لمنع دخول هذا الكتاب إلى جمهورية مصر العربية وحظر تداوله فيها .

موقف علماء الإسلام

فضيلة الشيخ عبد الله المشد رئيس لجنة الفتوى وعضو مجمع البحوث الإسلامية

بالأزهر:

أن سلمان رشدي يستحق القتل لأنه سب رسول الله ﷺ بعد التحقيق معه وسماع دفاعه عن نفسه، وله حق الرجوع والتوبة وعندها يسقط عنه حد القتل .

الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

إن ما نسب إلى سلمان رشدي .. وأياً كانت عباراته الماسية بشخص الرسول ﷺ وزوجته بما يخرجهم عن الإسلام فإن له الحق في أن يحاكم محاكمة عادلة طبقاً للشريعة الإسلامية .. وله أن يدافع عن نفسه إذا كانت عباراته تحتل معاني لا تخرجه عن الإسلام وعقائده الأساسية - ومثلها احترام وتوقير الرسول ﷺ - ولا بد من إقامة الدليل القاطع على أنه فعل ما يقطع بارتداده عن الإسلام ومن حقه أن يعلن توبته ورجوعه واعتذاره عن تلك الإساءة لمقام رسول الله ﷺ وإذا فعل ذلك حتى بعد الحكم عليه بالردة لا يحكم عليه بالعقوبة المحددة شرعاً للقتل . وأن القتل لا يوقع عليه إلا بعد محاكمة عادلة يعرفه القضاء بعدها بخطئه وأن يزيلوا عنه الشبهات التي دعت إلى الضلال .. ثم يستتاب ثلاثة أيام كفرصة أخيرة فإذا لم يتب خلالها ويرجع عن موقفه .. يقتل شرعاً .

قصتي مع هذا الكتاب

هذه لطيفة نافعة مفيدة، تحمل بين طياتها ما اشتمل عليه هذا الكتاب القيم .

لقد طلب منى مدير مكتبة القاهرة الأستاذ الفاضل / محمد على يوسف، تحقيق وتنقيح كتب فضيلة شيخنا الفاضل المرحوم عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى ووجدت أنها مهمة صعبة وثقيلة على، وتحتاج إلى مجهود ووقت ضخم حيث أن كتب فضيلته تحتاج إلى قراءة وتنقيب وشرح وتفصيل للمسائل التى وردت فى جميع مؤلفاته وقد استجبت لتكليف مكتبة القاهرة، واستعنت بالله ﷻ، وسألته التوفيق والسداد فى هذا العمل العلمى الجليل، وحاولت - مستعيناً بالله ﷻ - أن تتحقق الأهداف المقصودة من تحقيق كتب الشيخ الغمارى ونشرها بصورة جديدة منقحة ومزينة بالمعلومات وبالطريقة العلمية الحديثة التى تتفق مع روح عصرنا الحاضر بعيدة عن الغموض لكى يتففع بها طلاب العلم والراغبون فى تحصيله ودراسته وإنى لأعد قرائى الأعزاء إن كان فى العمر بقية بالتحقيق الكامل لتراث الشيخ الغمارى . وهذا الكتاب هو أول عمل لنا .

والحق يقال: إنى استفدت كثيراً بما جاء فى هذا الكتاب وبما سيأتى بمشيئة الله فى الكتب القادمة .

والله أسأل أن ينفع بقدر ما بذل من جهد، وما قصد من خير .

هذا بالنسبة لموضوع قصتى مع كتب الشيخ الغمارى .



عملى فى الكتاب:

- أما بالنسبة لما قمت به من أعمال تتعلق بتحقيق هذا الكتاب .
 فالحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، فقد وفقنى الله بما يلى:
- ١- وضع عناوين للموضوعات .
 - ٢- قمنا بترجمة مختصرة لكل العلماء الذين ورد ذكرهم فى الكتاب .
 - ٣- تخريج كل حديث ورد فى هذا الكتاب وذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة .
 - ٤- الدلالة على آيات القرآن الكريم بذكر رقم الآية والسورة .
 - ٥- توضيح ما يمكن توضيحه ومحاولة ميسرة لتقريب الفكرة إلى ذهن القارئ .
 - ٦- عمل فهرس للموضوعات آخر الكتاب .

وبعد ..

فالله ﷻ نسأل، وإليه نضرع أن ينفعنا بعلمه، وأن يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين
 من تراث إسلامى أصيل .

صفوت جوده أحمد

منفلوط فى ليلة الاثنين

٢٥ ربيع ثانى ١٤١٧ هـ

٩ سبتمبر ١٩٩٦ م

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين .. والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأكرمين، ورضى الله عن صحابته والتابعين .

وبعد :

فقد كتب عالمان، في حادثة وقعت في زمنهما، كتابين مفيدين:

أحدهما: القاضي تقي الدين السبكي، ألف كتاب «السيف المسلول على من سب الرسول» .

والآخر: الحافظ ابن تيمية، وسمى كتابه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، وهو مفيد جداً، لكنه ليس عندى الآن .

وهذا مؤلف ثالث، كتبه لحادثة أوجبت، وسميته: «السيف البتار لمن سب النبي المختار» كتابنا هذا .

ولقد كلفت الحاج على يوسف سليمان صاحب مكتبة القاهرة وهو أخ عزيز بطبع هذا الكتاب (كما سبق وطبع لي الكثير من مؤلفاتي) فرحب به كثيراً ووافق على طبعه ونشره ، فجزاه الله كل الخير .

والله أسأل أن يقبله منى، ويجعله سبباً لنيل رضاه . إنه جواد كريم، رؤوف رحيم .

المؤلف

عبد الله بن الصديق الغماري

آراء العلماء فيمن سب النبي ﷺ وأدلتهم على ذلك^(١)

قال الإمام ابن المنذر^(٢) في كتاب «الإقناع»:

أجمع عوامُّ أهل العلم على وجوب القتل على من سب النبي ﷺ . هذا قول مالك والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحق ومن تبعهم . أهـ .

قال القاضي عياض في «الشفاء»^(٣): وهو مقتضى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولا تقبل توبته عند هؤلاء، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة، والأوزاعي في

(١) نستعرض أقوال الأئمة وأحكامهم على من يؤذي النبي ﷺ بوضوح وتفصيل:

• الإمام أحمد بن حنبل: كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً، فعليه القتل، وأرى أن يقتل ولا يستتاب .

• القاضي عياض: جميع من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه، أو نسبه، أو دينه، أو خصلة من خصاله، أو عرض به شبهة بشئ على طريق السب له، أو الإزراء عليه أو البغض منه، والعيب عليه، فهو سب له والحكم فيه حكم الساب، وكذلك من لعنه أو تمنى مضرة له، أو دعا عليه، أو نسب إليه ما لا يليق بعنصه على طريق الذم، أو غيره بشئ مما يجرى من البلاء والمحنة عليه .

• الإمام مالك: من سب النبي ﷺ قتل ولم يستتب وكذلك من شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره .

وقال الإمام مالك أيضاً: من قال إن رداء رسول الله ﷺ «وسخ» فإنه يقتل كالزنديق .. فقد فرض الله توقيره .

• بعض المالكية: من دعا على نبي من الأنبياء بالويل أو بشئ من المكروه يقتل ولا يستتاب .

• أبو حنيفة وأصحابه: من برئ من الرسول أو كذبه فهو مرتد .

• أصحاب الشافعي: من تعرض لرسول الله ﷺ بما فيه استهانة فهو كالسب الصريح فإن الاستهانة بالنبي كفر .

• الإمام إسحق بن راهوية: أجمع المسلمون على أن من سب الله، وسب رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله ﷻ، أو قتل نبياً من أنبياء الله ﷻ فهو كافر، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله .

• أتى عمر بن جرير يسب رسول الله ﷺ فقتله . ثم قال عمر: «من سب الله أو سب أحد من الأنبياء فاقتلوه»، وسمع خالد بن الوليد رجلاً يسب النبي ﷺ فقتله .

هذا بعض ما قاله الأئمة ولم يفرق الأئمة بين المبلم والذمي في إهدار دم من يشتم الرسول أو ينتقص من قدره .

(٢) ابن المنذر: محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري . فقيه مجتهد من الحفاظ كان شيخ الحرم بمكة ولد ٤٢هـ .

كان رجلاً ورعاً زاهداً عالماً من أعلام الشافعية، وحافظاً من حفاظ الحديث له إمام دقيق بمواقع اختلاف العلماء . وكان من المجتهدين الذين لا يتقيدون بمذهب إمامهم في جميع قواعده الأصولية .

ومن مؤلفاته: البسوط - السنن - إثبات القياس - الإجماع . توفي بمكة سنة تسع عشرة وثلاثمائة .

(٣) يسمى الشفا بتعريف حقوق المصطفى للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى القاضي المتوفى سنة ٥٤٤هـ . أوله

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى وقد تسابق العلماء على وضع الشروح عليه وقد اختصره الشيخ محمد بن أحمد الألبوني الشافى وشرح جلال الدين السيوطي أحاديثه وسماه (مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا) {راجع كشف الظنون ص ١٠٥٢ وما بعدها} .

المسلم، وقالوا: هي ردة . أهـ .

وحكى ابن حزم^(١) في «المحل» عن أبي حنيفة^(٢) ومالك^(٣) والشافعي^(٤) وأحمد بن حنبل^(٥) وإسحق بن راهوية^(٦) وسائر أصحاب الحديث وأصحابهم، أن من سب النبي ﷺ كافر مرتد . وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ كافر، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله ﷻ وحكمه عند الأمة القتل .

وممن صرح بوجوب قتل شاتم النبي ﷺ أبو بكر الصديق^(٧)، وابن عمر^(٨)، وعمر بن عبد العزيز^(٩) .

(١) ابن حزم: على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد عالم الأندلس في عصره ولد بقرطبة . وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدير المملكة . فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف . فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء .

وله مؤلفاته الكثيرة منها: الأحكام لأصول الأحكام - الزهد في الرذائل - الفضل في الملل والنحل - طوق الحمامة توفي أواخر شعبان سنة ست وخمسين وأربع مائة .

(٢) أبي حنيفة: هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي أبو حنيفة أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ولد عام ٨٠هـ بالكوفة وكان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع للتدريس والإفتاء وأراده عمر بن هبيرة أمير العراقيين على القضاء فامتنع ورعاً، توفي ١٥٠هـ .

(٣) هو الإمام مالك بن أنس أبو عبد الله إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية . ولد بالمدينة عام ٩٣هـ .

(٤) هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . ولد في غزة بفلسطين عام ١٥٠هـ .

أفتى وهو ابن عشرين سنة . له تصانيف كتاب الأم جمعة البويطي، توفي ٢٠٤هـ بمصر .

(٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والي سرجس ولد بهقداد عام ١٦٤هـ سافر إلى الكوفة ومكة والمدينة واليمن وغير ذلك .

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد يعقوب بن راهوية عالم خراسان في عصره وهو أحد كبار الحفاظ أخذ عنه الإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ولد عام ١٦١هـ استوطن نيسابور وتوفي بها عام ٢٣٨هـ .

(٧) أبو بكر الصديق: عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ينتهي إلى تيم بن مرة .

ولد بعد عام الفيل بعامين وشب على كرم الخلق وحب المشورة والتأليف بين القلوب .

وعندما استقر رسول الله ﷺ وكان النبي ﷺ يخصه بمزايا كثيرة حتى كانوا يسمونه وزيره .

(٨) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أسلم وهو صغير السن - كان كثير الاتباع لأثار رسول الله ﷺ، فكان يصلي في كل مكان صلى فيه النبي ﷺ .

كان من الكثيرين للرواية، فقد روى عن رسول الله ﷺ (١١٦٣٠) حديثاً والسبب في إكثاره يرجع إلى طول عمره وإسلامه منذ صغره وعنايته بالسنة . توفي ٧٣هـ .

(٩) عمر بن عبد العزيز: تولى أمر المسلمين سنة تسع وتسعين هجرية . ولد بحلوان مصر سنة إحدى وستين للهجرة . =

أما أبو بكر، فروى أبو داود والنسائي عن أبي برزة رضي الله عنه قال: كنت عند أبي بكر رضي الله عنه فتغيظ على رجل فاشتد عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ قال: فأذهبت كلمتي غضبه، فقام فدخل فأرسل إليّ، وقال: ما الذي قلت آنفاً؟، قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلاً لو أمرتك؟، قلت: نعم، قال: لا والله، ما كانت لبشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم.

وروى ابن حزم من طريق قاسم بن أصبغ قال: حدثنا محمد بن عبد السلام الخشني حدثنا محمد بن بشار أنا معاذ بن معاذ العنبري حدثنا شعبة عن توبة العنبري قال: سمعت أبا السوار القاضي عبد الله بن قدامة يحدث عن أبي برزة قال: أغلظ رجل لأبي بكر، فقلت: ألا أقتله؟، فقال أبو بكر: ليس هذا إلا لمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما ابن عمر رضي الله عنهما، فروى ابن المنذر في كتاب «الأوسط» عن حصين عن مجاهد قال: قيل لابن عمر: إن رجلاً سب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لو سمعته لقتلته، ما صالحناهم على سب نبينا.

وروى الخلال في «الجامع» في كتاب الملل (باب من شتم النبي صلى الله عليه وسلم)، عن حصين عن حدثه عن ابن عمر، أنه مرّ به راهب، فقيل له: هذا يسب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عمر: لو سمعته لقتلته، إنا لم نعظم الذمة على أن يسبوا نبينا.

وأما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فروى ابن حزم في «المحلى» من طريق قاسم بن أصبغ حدثنا ابن وضاح حدثنا سحنون حدثنا ابن وهب عن خالد عن حميد عن عمر بن عبد الله عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب: أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز: إني وجدت رجلاً بالكوفة يسبك وقامت عليه البينة فهممت بقتله أو قطع يديه أو قطع لسانه أو جلده، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: سلام عليك أما بعد: والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به ولو قطعته لقطعتك به ولو

== كان محباً للعدل وواسع الصدر حليماً، يقبل العثرة ويتغاضى عن الهفوة وكان متفقهاً في الدين يحب الوعظ ويتقبله. وكان حكيماً في قوله وفعله.

قال سفيان الثوري الخلفاء خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم.

جلدته لأقذته منك فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلى الكناسة، فسيبه كالذي سبني أو اعف عنه فإن ذلك أحب إليّ فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب أحداً من الناس إلا رجلاً سب رسول الله ﷺ^(١).

ويؤيد هذه الآثار أحاديث:

* قال ابن حزم: حدثنا حماد حدثنا عباس بن أصبغ حدثنا محمد بن عبد الملك بن أيمن حدثنا أبو محمد حبيب البخاري - هو صاحب أبي ثور ثقة مشهور - حدثنا محمد بن سهل سمعت علي بن المديني يقول: دخلت على أمير المؤمنين، فقال لي: أتعرف حديثاً مسنداً فيمن سب النبي ﷺ؟، قلت: نعم، فذكرت له حديث عبد الرزاق عن معمر عن سماك بن الفضل عن عروة بن محمد عن رجل من بلقين: كان رجل يشتم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «من يكفيني عدواً لي؟»، فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبي ﷺ إليه، فقتله.

فقال له أمير المؤمنين: ليس هذا مسنداً، هو عن رجل، فقلت: يا أمير المؤمنين، بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه، وقد أتى نبي الله فبايعه، وهو مشهور معروف.

قال: فأمر لي بألف دينار.

قال ابن حزم: هذا حديث مسند صحيح.

* حديث قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي شتم النبي ﷺ، وهو في الصحيحين، وفي كتب السيرة.

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله؟»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟، قال: «نعم»، قال: فآذن لي أن أقول شيئاً، قال: «قل»، فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا

(١) فمن الأدلة القرآنية:

قوله ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَنَنفِخُنَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحراب: ٥٧].

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُجَادِدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣].

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ فِي الْأَذْكَانِ﴾ [المجادلة: ٢٠].

كل هذه الآيات تبين بوضوح أن إيذاء الرسول ومحادثته يوجب القتل.

صدقة وإنه قد عانا وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضاً والله لتملننا، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أى شئ يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا، قال: نعم، ارهنوني، قلت: أى شئ تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، فقالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟، قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهن أبناءنا، فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين؟ هذا عار علينا، ولكن نرهنك الأمانة - يعنى السلاح - فواعده أن يأتيه ليلاً، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج الساعة؟ أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخى محمد بن مسلمة ورضيعى أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة لليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قاتل "بشعره فأشمه فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه . فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كالיום ريحاً أى أطيب، قال: عندي أعطر نساء العرب، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه، قال: دونكم . فقتلوه، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه، هذا لفظ رواية البخارى .

وكان كعب قد نقض العهد، وحرّض قريشاً على قتال المسلمين بعد انتصارهم ببدر، وقال لما بلغه قتل صناديد قريش: لئن كان محمد قتل هؤلاء، لبطن الأرض خير من ظهرها.

* حديث قتل أبى رافع اليهودى:

روى البخارى فى صحيحه عن البراء عن عازب قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبى رافع اليهودى رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذى رسول الله ﷺ ويعين عليه، فدخل عليه عبد الله ابن عتيك بيته ليلاً فقتله، وكان قتله بعد كعب بن الأشرف لعنهما الله .

* حديث ابن عباس^(١) م قال: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه،

(١) قاتل بشعره أى مميل له .

(٢) ابن عباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب حبر الأمة الصحابى الجليل . ولد بمكة ٣ ق هـ ونشأ فى بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ . وروى عنه الأحاديث الصحيحة وشهد مع على الجمل وصفين وكف بصره فى آخر عمره فسكن الطائف . وتوفى بها ٦٨ هـ له فى الصحيحين وغيرهما ١٦٦ حديثاً .

فيئهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول^(١) فوضعه في بطنها، وانكأ عليها فقتلها فوقع بين رجلها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فجمع الناس، فقال: «أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام»، قال: فقام الأعمى بتخطى الناس وهو يتدلّل^(٢) حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، كانت تشتبك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة، جعلت تشتبك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعت في بطنها وانكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «ألا اشهدوا أن دمها هدر». رواه أبو داود والنسائي، ورجاله ثقات.

* ما رواه أبو داود عن الشعبي عن علي بن أبي طالب: أن يهودية كانت تشتك النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها^(٣) رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها.

رجال إسناده رجال الصحيح^(٤).

(١) المغول: بوزن منبر شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه فيغطي به.

(٢) يتدلّل: يتمايل.

(٣) فخنقها بالنون من الخنق، ووقع في شرح مختصر سنن أبي داود بتحقيق حامد الفتى، فخنقها بالفاء وهو تحريف.

(٤) فهذه الإشارات تدل دلالة قطعية على أن من ساب الرسول ومؤذيه يستحق القتل، ولأنه يطعن في عصمة الرسول وفي الدين إلى جاء به، وفي القرآن الذي أنزل عليه.

حكم من سب النبي ﷺ

تبين مما أوردناه أن الحكم بقتل صاحب «آيات شيطانية»^(١) صحيح جداً، وهو مبني على أساس من الأدلة متين، ومن استبعد هذا الحكم، أو استكثره، فهو إما جاهل بأحكام الدين وقواعده، وإما أن في عقيدته دخلاً وخللاً. أما الذي أيد في ذلك المجرم وجاحش عنه ممن ينتمى إلى الإسلام فهو مرتد، يجب قتله إن لم يتب، وهذا حكم الإسلام^(٢).

(١) هذا الكتاب ليس فيه فكر يمكن مناقشته وليس فيه شئ يمكن أن نرد عليه .. لأنه مجموعة من الشتائم تمس رسول الله ﷺ وزوجاته ﷺ وصحابته الأبرار .. ثم بعد ذلك لا شئ ..

ومؤلف هذا الكتاب هو سليمان رشدى ٤٢ سنة هندی الأصل إنجليزي الجنسية .. ولد في مدينة بومباي بالهند عام ١٩٤٧ لأب مرتد عن الإسلام .. تعلم في مدرسة تبشيرية هناك وشرب فيها سموم المبشرين ضد الإسلام .. بعد الحرب الهندية بالباكستانية هاجرت أسرته إلى لندن هرباً من الفقر وهو في سن الثالثة عشرة بحثاً عن حياة اقتصادية أوفر وظروف اجتماعية أفضل .. وفي مدرسة «راجبي» بلندن أكمل تعليمه الثانوي .. ثم التحق بكلية «الملك» بجامعة كمبردج وتخصص في دراسة التاريخ ..

مسيرة حياة متناقضة منذ المولد .. أب مرتد عن الإسلام تحت الدعايات التبشيرية .. وتعلم أولى في مدرسة تبشيرية تشكك في الإسلام .. ثم نقله حضارية مفاجئة من مجتمع شرقي محافظ إلى مجتمع أوروبي منحل ..

• وهذا وقد فطن المسلمون إلى قتل من يسب الرسول أو يشتمه، أو يعرض به، أو يغفل له في القول .. والوقائع التي تشهد على ذلك كثيرة .. فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني لقيتو أبي في المشركين .. فسمعت منه مقالة قبيحة لك، فما صبرت أن طعنته بالرمح فقتله .. فما شق ذلك عليه .. أي على الرسول ﷺ ..

• إذن الفتوى بقتل سليمان رشدى صحيحة وكل ما ورد من آيات قرآنية وأحاديث نبوية ووقائع أقرها الرسول ﷺ وأقوال الفقهاء يؤيد هذه الفتوى ويجعل دم هذا الزنديق مستباحاً لأنه فعل أبشع مما فعله الزنادقة القدامى فهو أول مرتد .. وثانياً متطاول على مقام الرسول .. وثالثاً مثير فتنة بين المسلمين وغير المسلمين ..

(٢) يقول الأستاذ أحمد أبو كف:

• ليس جديداً على الإسلام هؤلاء الجرذان والفران الذين نهجوا مثل أسلافهم وتهجموا على الإسلام ..
• الإسلام يحكم على سلمان رشدى إذا كان مرتداً أو لا بد أن يعطى له فرصة قبل أن تطبق عليه أحكام الشريعة ..
مجلة التصوف الإسلامي . العدد ٣ السنة ١١ شعبان ١٤٠٩ هـ . مارس ١٩٨٩ م ص ٤٨/٣٠ ..

إن محور كتاب أشعار شيطانية يدور حول بغى افتتحت محلاً للدعارة جعلت اللافتة الدالة عليه كلمة «الحجاب» فهل الحجاب تصلح لدار بغاء؟! ..

هكذا قال سلمان رشدى: ثم استأجرت المرأة المتقرصة بالدعارة اثنتي عشرة امرأة اختارت لهن أسماء زوجات النبي العربي محمد ﷺ، أظهر من مشى على الثرى واندى عباد الله صوتاً في الدعوة إلى الشرف والسمو ..

فهل هذا منهج في عرض سير الأنبياء أو حتى سير الرجال الأكابر .. هل هذا من حرية الفكر؟
سلمان رشدى فاقد الإيمان .. يؤكد أنه مثل إحدى شخصياته في روايته أطفال منتصف الليل، وقد فقدت الإيمان و«بقي ثقب في داخلها» ويرمز بهذا الثقب إلى الفراغ بعد الإيمان ..

وكتاب «آيات شيطانية» نشرته دار نشر فايكنج بنجوين عام ١٩٨٨ وهو قد حصل من هذه الدار على ٧١٢ ألف

جنيه إسترليني . =

== ويدور الكتاب حول اثنين من المهاجرين الهنود لا يستطيعان التكيف مع الثقافة البريطانية أو الهندية على السواء، ويؤمن المؤلف أن شخصيات روايته تسمى لكى تصبح إنسانية بالكامل عن طريق مواجهة الحقائق الكبرى للحب والموت وحياة الروح، ويصور الكاتب مؤسس دين خيالى ومعركة بين الخير والشر لكن الرموز التى يستخدمها تشير إلى أنه يتحدث عن دين الإسلام، وهو يقول إن القرآن ليس كلمات الله كما قالها من قبل المبشرون والمستشرقون، ثم هو أيضاً يسنّى إلى زوجات النبى .

الذين يصفون سلمان رشدى بأنه مسلم هم واهمون .

والذين يقولون أنه أخطأ سهواً .. أيضاً لا يقولون الحقيقة .

فلسلمان رشدى، هندى عميل لمبعثات التبشير الإنجليزية، وقد حاول أن يكون روائياً ونشر روايته الأولى «جريموس» ١٩٧٥ وتجاهلها القراء، ثم نشر رواية «أطفال منتصف الليل» .. ويعالج فيها قضية التخاطر الملحده حيث يشعر الإنسان بنفس شعور إنسان آخر فى نفس الوقت واللحظة ولأن هذه الرواية بداية الإلحاد فلقد أعطاه البريطانيون جائزة «بوكر» ١٩٨١، وقد ساعده على نجاح روايته الملحده هذه .. أن يؤلف رواية ثالثة هى «العارة» الذى تهكم فيها على سياسة دولة سلمة هى باكستان . وحصل بها على جائزة أحسن كتاب أجنبى فى فرنسا عام ١٩٨٣، وهذه الرواية «العارة» هى رواية عن فقد الشخص لإيمانه .

وقد جاءت تصريحات خمينى، بإهدار دم سلمان رشدى بضجة كبيرة، بل هى قدمت التبرير لقوى التبشير فى العالم، ليقولوا أن المسلمين ليس لديهم وسيلة للحديث عن دينهم سوى العنف .

ولقد هزت تصريحات خمينى قادة الدول الأوروبية والأمريكية، وعقدت اجتماعاً .. للبرلمان الأوربى والمجموعة الأوروبية، وتبادل سحب المبعوثين الدبلوماسيين من إيران، ومن تلك العواصم الأوروبية والأمريكية .. لدرجة أن جورج بوش رئيس أمريكا هاجم قرار الخمينى ودافع عن حرية رأى سلمان رشدى، وكأنه لم يؤذ مشاعر المسلمين .

لكن ينشأ السؤال: إذا كان سلمان رشدى ليس هو أول المهاجرين للإسلام والمسلمين، وليس هو أول المسيحيين إلى رسول الله ﷺ .. فما هو موقف الإسلام من مثل سلمان رشدى؟

الواقع أنه فى واقعة سلمان رشدى بالذات، وجدنا من بعض المصريين الذين يحسبون على الإسلام يتشدقون بما أسماه حرية الرأى، ووجدناهم أيضاً يسلكون سلوك الأوربيين والأمريكان فيما يقولونه تنديداً بخومينى والإيرانيين . وإذا كان سلمان رشدى - كما يشيع عن نفسه - أنه مسلم، فإن إساءته إلى الإسلام تعتبر جريمة مركبة، فهو ليس نصرانياً كاللّشرين، وإنما المسلم الذى يسنّى إلى الإسلام ونبى الإسلام له وضع خاص .

وعلى فرض أن سلمان رشدى قد ترك الإسلام وأنه ليس مسلماً فإن هجومه على نبى الإسلام وزوجات الرسول ﷺ وعلى القرآن ينبغى على المسلمين أن يقرعوه ويقدموا الهجوم المضاد .

لكن بلا شك فإن سلمان رشدى مسلم محسوب على الإسلام تستخدمه جهات الاستشراق والتبشير للنيل من الرسول وزوجاته والقرآن، لأن مسلماً حينما يهاجم دينه فهو أوقع، بمعنى أن سلمان رشدى باع دينه فى سبيل مصلحته الشخصية وهى الشهرة والمال .

ولهذا فمن حق المسلمين فى العالم أن يغضبوا لما ورد فى رواية سلمان رشدى، فهو مروق عن الدين، واعتداء على شعور المسلمين، فحياة الرسول ﷺ قد سجلت بأوثق الأسانيد والبحث والتحرى والتسجيل، بمعنى أن سلمان رشدى لا يعرف شيئاً عن الإسلام، ولا هو صاحب قضية حقيقة .

ومع ذلك فإن سلمان رشدى كما يؤكد مشايخ الإسلام ينبغى أن تكون له محاكمة عادلة طبقاً لشرعية الإسلام، يدافع فيها عن نفسه، ولا بد من إقامة الدليل القاطع أنه فعل ما يقطع بارتداده عن الإسلام، ومن حقه أن يعلن توبته ورجوعه واعتذاره عن تلك الإساءة للإسلام وللرسول .. وإذا فعل ذلك بعد صدور الحكم عليه بالردة لا يحكم عليه بالعقوبة المحددة شرعاً . ==

سئل الإمام أبو الحسن القابسي، فيمن قال عن النبي ﷺ: الحمال^(١) يتيم أبي طالب؟ فأفتى بقتله .

وسئل أبو محمد عن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة» المشهورة عن رجل سمع جماعة يتذكرون في صفة النبي ﷺ، إذ مرّ عليهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال لهم: تريدون أن تعرفوا صفته؟ هي صفة هذا المارّ في خلقه وخلقه وهيئة لحيته، فأفتى بقتله، ولا تقبل توبته .

وقال الشيخ أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون: من قال: إن النبي ﷺ أسود، يُقتل .
والحوادث من هذا القبيل كثيرة، ذكر جملة منها القاضي عياض في «الشفاء» رحمته ورضى عنه^(٢) .

وقال حبيب بن الربيع القروي: مذهب مالك وأصحابه أن من قال في حق النبي ﷺ ما فيه نقص، قُتل دون استتابة .

وقال ابن عتاب: نص الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي ﷺ بأذى أو نقص معرضاً أو مصرحاً وإن قل، فقتله واجب .

== والإسلام يقضى بمحاكمة عادلة كما قلت، وأعطى للمتهم حق الدفاع عن نفسه وأوجب الإسلام أيضاً أن يطلب منه قضائه أثناء المحاكمة التوبة، بل عليهم أن يكشفوا له عن خطئه وأن يزيلوا الشبهات التي دعت به إلى الضلال، ويترك له الفرصة للتوبة أقلها مدة ثلاثة أيام .

بمعنى ألا يهدر دم سلمان رشدي - كما فعل آيات الله في طهران - دون محاكمة عادلة .
هذا ما يقوله الدين الإسلامي الذي أساء إليه سلمان رشدي، ولذلك فإن بعض المسلمين - خاصة في مصر - بدعوى الفرنجة والمصالح مع الغرب يقولون أن هذه حرية الفكر .. وهي ليست حرية فكر يردونها كالبهناوات مثل الأجانب، إنها مغامرة لا تستحق الإقدام والتقدير من المسلمين، فشرعية الإسلام توجب المحاكمة العادلة .
بمعنى أن آيات الله أساءوا إلى الإسلام .. ربما من حيث لا يدرون .

ولو هم نشروا في العالم حكم الشريعة الإسلامية في المارقين من أمثال سلمان رشدي .. لربما هو ندم على ما فعل وتاب إن كان مسلماً .. ولربما أيضاً كسب الإسلام أرضاً جديدة في أركان التنصير والتبشير والاستشراق .

(١) بالحاء المهملة لأنه ﷺ كان يحمل حاجته ولا يدع أحداً يحملها عنه . فمن وصفه بالحمال ذماً له فإنه يقتل .
(٢) هذا الكتاب يسمى الشفا بتعريف حقوق المصطفى وقد اختصره الشيخ محمد بن أحمد الأسنوي الشافعي . وخرج جلال الدين السيوطي أحاديثه وسماه مناهل الصفا في تخريج أحاديث الصفا . ولقد أفرد باباً بكلام في حكم سب النبي ﷺ وآراء العلماء في ذلك وأفاض ذلك من ص ٢٨٥ : ٢٩٥ .

قال القاضي عياض: فهذا كله - أى ما فيه أية أو تنقيص له - مما عدّه العلماء سباً، يجب قتل قائله، لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم . أهـ .

والحوادث التي حكاها القاضي عياض وغيره، تُفدّ حكم القتل في مرتكبيها مسلمين كانوا أو نصارى، إذ كانت الحدود قائمة، وحكم الإسلام نافذ .

أما في هذا العصر المتأخر، حيث أحكام الإسلام معطلة ولا يمكن تنفيذها، بل صار الإسلام غريباً في بلاده، تقابل أحكامه منهم باستنكار واشمئزاز، لا يلقاه العلماء المخلصون الغير على دينهم .

خذ مثلاً طه حسين، كذّب القرآن الكريم^(١)، وجراً طلبته على الطعن فيه وصرح بإباحة الزنا، وعُيّن بعد ذلك عميداً لكلية الآداب، ثم عميداً للجامعة، ثم وزير المعارف، ثم مُنح لقب باشا، ثم عُيّن رئيساً لمجمع اللغة العربية، ثم مُنح لقب عميد الأدب العربي، فكان كفره وإلحاده سبب نيل هذه المناصب الخطيرة .

وله نظراء في المغرب لا يقلّون عنه في الكفر والإلحاد طعنوا في القرآن وسموا بعض قصصه خرافة، كما سموا الأحاديث الصحيحة خرافة أيضاً، وهم مع ذلك يتولون مناصب

(١) يقول المؤلف في كتابه القيم النفيس (خواطر دينية) ما نصه: ألف الدكتور طه حسين كتاباً في الشعر الجاهلي وذكر فيه كفريات صريحة منها: إنكار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وزعمه أنهما شخصيتان وهميتان لا حقيقة لهما في التاريخ وأن القرآن لا يكفي دليلاً على وجودهما، وقد رد عليه كثير من العلماء وحول إلى القضاء . وكانت محاكمته مهزلة بسبب السياسة التي تدخلت في الموضوع . وخرجت المسألة عن كونها غير دينية، وحمية إسلامية إلى تنازع بين حزب الأحرار الذي كان يؤيد المؤلف ويعطف عليه، وبين حزب الوفد الذي كان يخاصمه ويحقد عليه .

والحقيقة أن هذا الكتاب الذي أرتد به شق دين الإسلام، واستوجب غضب الله عليه . ليس من تأليفه، وإنما هو نسخة من كتاب: (كلمة في الإسلام): للمبشر الإنجليزي جرجس يال . وقد ترجمه إلى العربية شخص مجهول يسمى: هاشم العربي . وشرح بعضهم أن مترجمه الحقيقي هو الأديب نصيف البازجى المسيحى المعروف، والعجيب أن طه حسين كتب بعد هذا في مواضع دينية مثل: (على هامش السيرة)، كأنه يتملق المسلمين أو يضحك على عقولهم! ولكن الله ليس بغافل عنه . قد يقال: إنه تاب عما كان في ذلك الكتاب، وإن كان كذلك، فلم لم يعلن توبته كما أعلن رده؟ ولنسلم أنه تاب سرّاً بينه وبين الله ﷻ، فما باله قال في كتابه «فى الصيف» وقد ألفه بعد الكتاب الأول بمدة: يجب أن ينقد القرآن كأى كتاب أدبى؟ وهل هذه الكلمة تصدر من مؤمن يعتقد أن القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ الحقيقة أن الأدباء الملحدين وجدوا الكتابة الدينية تجارة رابحة، درت عليهم أموالاً كثيرة وافرة . فلذلك أقبلوا عليها واتجهوا بكليتهم إليها، وحصلوا على ما طلبوا من المال، ولن تخطر التوبة لهم على بال . {راجع كتاب خواطر دينية لفضية الشيخ النمارى رحمه الله مكتبة القاهرة ص ١٨٦ - ١٨٧} .

خطيرة توجيهية في التعليم وتنشيف الجيل، حتى إنهم قرروا في المدارس نظرية داروين الخرافية في النشوء والارتقاء، مع ظهور بطلانها واتفاق المدارس العربية والأوروبية على تركها، فهي لا توجد اليوم إلا في مدارسنا بسبب هؤلاء الملحدين أفراخ الشيوعية، ولهم مجلات تنشر إلحادهم وطعنهم في النبي ﷺ، ولا يمسهم أحد بسوء، لأن القانون الأوروبي يحميهم، وهو القانون المعمول به في البلاد الإسلامية كلها ما عدا الحجاز .

والنصارى^(١) لعنهم الله يرضيهم الطعن في ديننا ويحرضون عليه، ولا يجدون فرصة لذلك إلا انتهزوها .

لما كنت في لندن، وجدت في كثير من شوارعها أماكن اللهو والقمار والرقص، ووجدت مكتوباً على أبوابها: مكة، بالأحرف اللاتينية، اتخذوا اسم هذا البلد الذي هو قبلة المسلمين عنوان الميسر والفجور، وعداوة الإنجليز للإسلام أشد من غيرهم من الكفار لعنهم الله أجمعين .

(١) النصارى: جمع نصران، وهو الممتلي نصرًا، واختلف في اشتقاق هذا الاسم .

فقال ابن عباس: هو من «ناصر» وهي قرية من فلسطين كان يسكنها عيسى، فنسبوا إليها .

وقيل: سمو نصارى لتناصرهم، أى ينصر بعضهم بعضاً .

وقيل: نسبة إلى قوله ﷺ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] .

الحرية في الإسلام ليست التهمج على الدين

الحرية التي يلوكلها الجهلاء والملحدون، لها حدّ، إذا تجاوزته كانت جريمة يعاقب عليها القانون .

فليس من الحرية التهمج على الدين بالطعن والتزيف وجرح شعور المسلمين، لأن الدين وضع الإلهي، والطاعن فيه معترض على الله ﷻ، ولا يعترض عليه إلا كافر ملعون . وسب النبي ﷺ طعن في الدين وهدم له من أساسه^(١) .

قال الله ﷻ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْتِهْمِ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦] .

قال ابن كثير في هذه الآية: ولهذا قال ﷻ عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرون: ﴿لَيًّا بِالْأَسْتِهْمِ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦]، يعنى بسبهم النبي ﷺ. أهب

وكان الأنصار يقولون للنبي ﷺ: راعنا يا رسول الله، أى ارعنا سمعك، وكانت هذه اللفظة سباً قبيحاً بلغة اليهود، معناها الرعونة وهى الحق، فمعنى راعن أحق، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمداً سراً، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه ويقولون: راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ فقطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لهم: لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] ، لكيلا يجد اليهود لذلك سبيلاً إلى شتم النبي ﷺ .

(١) يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي: هل من حرية الفكر أن يؤلف رجل كتاباً ينشره بين الأوروبيين ويهاجم المسيحية .. باللفظ البذيئ والكلام القذر .. الذى لا يليق أن ينطق به إنسان .

وهل يقبل المسلمون على نبيهم محمد ﷺ وعلى زوجاته الطاهرات وصحابته الأبرار ما لم يرضه الغرب المسيحي عن عيسى عليه السلام .

• إن مؤلف الرواية جعل محورها يدور حول «بغى» افتتحت بيئتها للدعارة وجعلت اللافتة الدالة عليه كلمة «الحجاب» تصلح عنواناً لدار بهاء..؟ ثم استأجرت المرأة المتبرسة بالدعارة نساء أخريات أطلقت عليهن أسماء زوجات سيدنا محمد أظهر نساء الأرض وأفضلهن شرفاً وحسباً ونسباً وفضلاً .

فهل هذا منهج يستحق الدفاع عنه فى عرض سير الأنبياء أو حتى سير العظماء .. هل هذا يدخل فى إطار حرية الفكر .. أم هى حرية التناول والسفه؟

وتوعد الله ﷻ من يؤذى رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال المفسرون: إيذاء الله بنسبة الولد والشريك إليه، وإيذاء رسوله بسبه أو نسبة عيب له ﷺ.

وليس من الحرية أيضاً اغتياي مسلم، أو نسبته إلى الفاحشة، لأن الغيبة محرمة بنص القرآن في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

والأحاديث كثيرة في تقييحها وعظم إثمها.

وسئل النبي ﷺ ما هي الغيبة^(١)؟، فقال: «ذكرك أخاك بما يكره».

قيل: أرايت إن كان في أخى ما أقول؟، فقال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهته»^(٢).

وأوجب الإسلام على من نسب مسلماً إلى فعل الفاحشة أن يُجلد ثمانين جلدة، مع الحكم بفسقه ورد شهادته إلى أن يتوب، والحكمة في تحريم الغيبة والقذف حفظ كرامة المسلم، وصون عرضه من أن يصيبه ما يخلدشه أو يثلمه.

(١) الغيبة: ذكر مساوئ الإنسان في غيبته وهي فيه، وإن لم تكن فيه فهي بهتان وإن واجهه بها فهو شتم.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة ٧٠ (٢٥٨٩) حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر قالوا حدثنا إسماعيل عن العلاء عن أبيه عن أبي.

ورواه أبو داود في كتاب البر ٣٥ والترمذي في البر ٢٣ والدارمي في الرقاق ٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٢: ٣٨٤، ٢٣٠ (حلبى).

معنى قوله ﷺ: [لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ]

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ، كثير من الناس يفهمون هذه الآية على غير وجهها الصحيح، وأنا أبين معناها فأقول^(١):

معنى الآية الكريمة أن اليهودى أو النصرانى لا يُكره على الإسلام بل يُترك على حاله، لأنه متمسك بدين كان صحيحاً قبل نسخه بالإسلام .

أما الشرك وسائر ما يُعبد من دون الله، فليست هذه بدين يعتبره الإسلام، وإنما هى اعتقادات وعادات جاهلية ورثها الأبناء عن الآباء، فهؤلاء لا يُقرون على ما اعتادوه، بل يجب قتالهم حتى يسلموا، ولا تقبل منهم جزية .

وبهذا ثبت الحديث المتواتر عن النبى ﷺ أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها» .

وهو تنفيذ لقوله ﷺ: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَآخِضْوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥] .

لكن استثنى الحديث المجوس^(٢) فقال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب» .

(١) الإكراه معناه: حمل الغير على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك .

والمراد بالدين دين الإسلام والألف واللام فيه للمهد .

ويرى بعض العلماء أن نفى الإكراه هنا خبر فى معنى النهى، أى لا تكرهوا أحداً على الدخول فى دين الإسلام فإنه بين واضح فى دلائله وبراهينه، فمن هداه الله له، ونور بصيرته دخل فيه على بصيرة، ومن أضله وأعشى قلبه لا يفيد الإكراه على الدخول فيه .

وهذه الآية أى قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ، تنفى على الإجبار على الدخول فى الدين، لأن هذا الإجبار لا فائدة من ورائه إذا التدين إذعان قلبى، واتجاه بالنفس والجوارح إلى رب العالمين بإرادة حرة مختارة، فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرهاً له ونفوراً منه فالإكراه والتدين نقضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر .

(٢) المجوس: هم عبدة النار ويقولون إن للعالم أصليين: النور والظلمة .

وقيل الأصل: إنهم النجوس وذلك لأنهم كانوا يستعملون النجاسات فى تدينهم . ==

وقال على عليه السلام: «كان لهم كتاب .

والخلاصة: أن أهل الكتاب والمجوس يُقرون على دينهم إذا أعطوا الجزية ولا يُكرهون على الإسلام، لأن لهم في الأصل ديناً يعترف به الإسلام .

أما غيرهم من بقية أنواع الكفار، فليس لهم دين يُقرون عليه، وإنما يعبدون أشياء تلقوها عن آبائهم كما قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] .

وقال الله ﷻ فيهم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٠] .

وقال قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن معبوداتهم: ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا هَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٣] .

فهؤلاء يجب قتالهم حتى يُسلموا، لأن بقاءهم فساد في الأرض، والله لا يحب الفساد . وكذلك الأفكار الهدامة التي حدثت في هذه العصور مثل الشيوعية وغيرها، لا يجوز تركها، بل يجب قتال أصحابها وقتلهم، وبالله التوفيق .

والمسلم إذا ارتد يجب قتله بعد استتابته إن لم يتب، للحديث الصحيح «من بدل دينه فاقتلوه» عليه السلام .

== والمجوس هم أقدم الطوائف . وقد نشأت المجوسية في بلاد الفرس وكانوا ناهين في عالم التنجيم . ويقال للمجوسية الدين الأكبر والملة العظمى إذ كانت دعوة الأنبياء بعد الخليل عليه السلام لم تكن في العموم كال دعوة الخليلية ولا يثبت لها من القوة مثل الملة الحنيفية إذ كان ملوك العجم كلهم على ملة إبراهيم ورعاياهم على أديانهم . (١) هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي ﷺ - وصهره، وأحد الضعفاء الأبطال ومن أكابر الخطباء بالقضاء وأول الناس إسلاماً بعد خديجة . ولد بمكة عام ٢٣ ق هـ . توفي مقتولاً عام ٤٠ هـ .

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الجهاد ١٤٩، وكتاب الاعتصام ٢٨، والاستتابة ٢، ورواه أبو داود في كتاب الحدود والترمذي في كتاب الحدود ٢٥، ورواه الإمام النسائي في التحريم ١٤، وابن ماجه في الحدود باب المرتد عن دينه ٢٥٣٤ - حدثنا محمد بن الصباح أنبأنا سفيان بن عيينة عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ وذكره . ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند: ٤٢، ٤٧، ٣٨٢ .

موقف الدول الإسلامية من الكتب التي تهاجم الإسلام

سكوت الدول الإسلامية عن كتاب «آيات شيطانية» أبان عن تقصير كبير، وفقدان الغيرة الدينية من قلوبهم، لاسيما وفي هذه الدول من تدعى السهر على حماية العقيدة الإسلامية، مع أن الطعن في الرسول هدم للدين من أساسه .

كان الواجب عليهم أن يحتجوا على الدولة الإنجليزية التي طبعت الكتاب ونشرته، ويقرروا منع تداوله في بلادهم، ويبينوا للعالم ما في الكتاب من كذب وافتراء^(١).

هذا أقل ما يجب، ولم يفعلوه، فما حجتهم عند الله ﷻ؟ والعجيب أن بعض الدول الكافرة منعت دخول ذلك الكتاب في بلادها مراعاة لشعور المسلمين الذين لم يحركوا ساكناً

(١) فجأة يوم الثلاثاء ١٤ فبراير عام ١٩٨٩م نقلت وكالات الأنباء من إيران أن إذاعة وتليفزيون طهران قطعاً برامجها ليعلمنا على الشعب فتوى هامة وأمرأً صادراً عن الإمام الخميني . وجاء في الأمر: إباحة دم سلمان رشدي، وكل من ساهم في نشر أو توزيع أو ترويج كتاب «أشعار شيطانية» وطالب الأمر بضرورة قتل هؤلاء فوراً .. وإن قتلهم جهاد في سبيل الله .. ومن يقتل وهو يقوم بهذا العمل شهيداً من أجل الله ..

ثم أعلن مسئول إيراني عن مكافأة قدرها ثلاثة ملايين دولار لمن يأتي برأس مؤلف الآيات الشيطانية إن كان من الإيرانيين ثم ارتفعت المكافأة بعد يومين إلى خمسة ملايين دولار دون تحديد لهوية صاحب العمل البطولي .

• كان سليمان رشدي حتى صدور فتوى الإمام الخميني ينعم بحياة سعيدة في ظل الأنصواء السلطنة عليه .. لم يعبأ في البداية وصرح لبعض الصحف أن الخميني لم يقرأ روايته وأنه لم يكتبها ضد الإسلام بقدر ما كانت ضد بعض الأفكار البالية التي رسخت في النفوس على مر الزمان؟

كما أصدرت دار النشر - «بنجوين» بياناً أعلنت فيه أسفها لأن الرواية التي هي من خيال المؤلف - سببت ضيقاً أو كرباً في نفوس المسلمين .. وأنها قامت بهذا العمل إعمالاً لحرية النشر . أنها رفضت وصف الكتاب بأنه سني للإسلام لأن المسلمين انقسموا حول مضمونه .

• ثم أصدر مؤلف الكتاب بياناً آخر قال فيه .. إنه سيترك منزله في شاحية لندن إلى مخبأ آمن في الريف الإنجليزي .. ودعا الحكومة إلى حمايته، والأدباء إلى التضامن معه دفاعاً عن حرية التعبير ومن يومها وهو يعيش في رعب وقلق خوفاً من تصيد وخطف رأسه وتسليمها للخميني .. وصار حياً ميتاً .

• وتلقف الإعلام الأوربي القضية ليجعلها قضية قومية .. تدخلت فيها الحكومات الأوربية لدى الحكومة الإيرانية لتوضيح موقفها . وتحت ستار الدفاع عن الحرية أصبح المؤلف الشيطان بطلاً تكاثفت دول السوق الأوربية مجتمعة على حماية حياته .. ولم تعبأ بمشاعر المسلمين ومقدساتهم .. وأصبحت حياة شخص أهم من مصالح أمة .. وصار الدفاع عن فكر فرد ساقط أولى من الحفاظ على مشاعر مليار مسلم .

موقف الدول الأوربية المتعاطفة مع الشخص الذي أهان المقدسات الإسلامية .. أشعل نار السخط والغضب في معظم الدول الإسلامية ضد المؤلف، واختلقت الآراء حول مصيره . (كلام المحقق) .

ولا نطقوا في هذا الموضوع بينت شفة^(١)!!

وصدق الشيخ محمد عبده الذي قال: لعن الله مادة اس يسوس، وما تصرّف منها .
ونأسف غاية الأسف على ذهاب الغيرة الإسلامية من قلوب المسلمين ومن
وجدانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٢).
وقد حصلت حادثة من هذا النوع، أظهر فيها مسلم من قوة الإيمان ما لا يوجد عند
كبراء المسلمين وزعمائهم الذين يتصدّرون المجالس، ويتشدّقون بالخطب الحماسية
الجوفاء!.

(١) سمعت في الأخبار اليوم أن آلافاً من الناس تظاهروا في لندن وطالبوا الحكومة الإنجليزية بمنه تداول كتاب «آيات
شيطانية» في الأسواق كما طالبوها بس قانون بمنع الطعن في الدين . وفي العقيدة الإسلامية . يحصل هذا في لندن
والمسلمون في نوم عميق . (كلام المؤلف) .
(٢) وبالفعل كانت هناك ردود غاضبة تتمثل في:

- طالب المجمع الفقهي الإسلامي خلال انعقاده في السعودية بضرورة تطبيق حد الردة على الزنديق سلمان رشدى .
- المجلس الأعلى الإسلامي بالجزائر: قال يجب محاكمة المرتد سلمان رشدى لاستخفافه بالإسلام، وتشويه سمعة
النبي ﷺ .
- أدان القادة المسلمون في باكستان المجموعة الأوربية لمساندتهم مؤلف كتاب المرتد .
- طالبت الهيئات الإسلامية في صنعاء بأن تقوم منظمة المؤتمر الإسلامي بإجراء مشاورات عاجلة مع الدول الأعضاء
لاتخاذ موقف موحد ضد الكتاب ومؤلفه .
- أكد الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي أن ما جاء في كتاب المرتد سلمان رشدى لا
يعتبر من قبيل حرية الرأي، وإنما هو في نطاق جرائم العدوان والإيذاء بالكلام السافل الذي يمس الكرامات المصونة
للأنبياء .
- وطالب الدكتور نصيف بإقامة دعوى قضائية أمام المحاكم البريطانية ضد مؤلف الكتاب ودار النشر الإنجليزية .
- وفي السعودية أصدر مجمع الفقه الإسلامي بياناً باسم علماء الإسلام أعلن فيه خروج مؤلف كتاب «آيات شيطانية»
عن ملة الإسلام . وحكم عليه بالردة . واستنكر دفاع الدول الأوربية عنه وحمايته .
- أصدر مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة قراراً بحظر دخول هذا الكتاب إلى مصر وبمحاكمة مؤلفه على أساس أنه
مرتد عن الإسلام .
- أصدرت اللجنة المتحركة للشؤون الإسلامية في بريطانيا بياناً حذرت فيه المسلمين من قراءة هذه الرواية ثم طلبت إلى
دار النشر التي طبعت الرواية أن تكتب على الغلاف هذا الكتاب يسئ إلى الإسلام فرفضت رفضاً باتاً .
- هذه هي ردود الفعل الغاضبة عند الهيئات الدينية في العالم الإسلامي .
- أما على مستوى الشعوب فإن فوارق الغضب بلغت أشدها، وأنبرت الأقلام الإسلامية ترد على افتراءات هذا
الأنثيم، وتنسف مزاعمه، وتبديد أوامره وتمزق نسج روايته التي هي أوهى من بيت المنكوب .
- (يتصرف من كتاب «آيات سماوية» في الرد على كتاب «آيات شيطانية» لفضية الدكتور شمس الدين الفاسي ﷺ
دار مايو الوطنية للنشر ٨٩ ص ٥٥ ، ٥٦)

قرأت في جريدة الأهرام المصرية خبر عن شاب هندي اسمه عبد القيوم، سمع الحاكم الإنجليزي للهند يشتم النبي ﷺ، فقتله، والإنجليز كانوا في الهند ظلمة جبارين، فاستكثروا هذه الجرأة واستعظموها وقدموه للمحاكمة، وحكم بإعدامه، فلما سمعت أمة الحكم عليه، زغردت فرحاً، وقالت: ابني يموت شهيداً، وصدقت، فإنه مات شهيداً، ﷺ وعنها .

وهكذا تكون الغيرة الإيمانية، والحمية الإسلامية، لا دعاوى تُقال، وألفاظ تذهب مع الريح هباء منثوراً .

النبي أفضل الخلق على الإطلاق

رأيت المبتدع الألباني اعترض على الدكتور سعيد رمضان البوطي في قوله: النبي ﷺ أفضل الخلق . وسأل مستكراً: ما دليله على هذه العدوى؟ وزعم أن في المسألة خلافاً أحال به على (شرح العقيدة الطحاوية) .

وهذه المسألة أفردتها بكتاب سميت «دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين»^(١) وقد طبع منذ مدة، والحمد لله . ولكن سأبين هنا بطلان كلام هذا المبتدع

(١) يقول فضيلته في ذلك كلاماً نفيساً ما نصه:

قال الزمخشري: أو لم يكنهم آية مغنية عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحق متعنتين . هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضل، كما تزول كل آية بعد كونها، وتكون في مكان دون مكان . إن في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان، إلى آخر الدهر، لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر^(١)، وتذكراً لقوم يؤمنون أم . فإذا نظرنا إلى ما في القرآن من دلائل خاصة، تقتضي على قدره عليه الصلاة والسلام . مضافاً إلى ما سبق . انتهينا إلى نتيجة ذات وجهين متلازمين:

«أحدهما» أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات يقيناً لا يدخله احتمال، إذ ليس من المعقول أن يترك الكتاب العظيم على شخص يكون في عالم الوجود من هو أفضل منه .

«ثانيهما» القطع بخطأ من فضل عليه الملائكة، وهو ابن حزم . أو فضل عليه جبريل ﷺ وهو الزمخشري . لأن القرآن بجملة وتفصيله، تشريف لم ينله ملك ولا رسول . ولأن في آياته وبعض سورته، ما يفيد تفرد النبي ﷺ بمناقب لم يعطها جبريل ﷺ .

وإيضاح هذه النتيجة بوجهيها هو مقصدنا من هذا المؤلف الذي اعتمدنا فيه على فضل الله . وعلى ما يفتح به في فهم آيات كتابه . وهو مما منحناه في هذه المحنة التي نرجو من الله تفرجها عاجلاً . بقي وجه ثالث، يلحق بالوجهين السابقين، وهو: أن المفاضلة بين بقية الأنبياء والملائكة ظنية، لأنها لا تستند لدليل قاطع . فنحن نعتقد أن الأنبياء ﷺ، أفضل من الملائكة، ولكن لا نقطع بذلك ولا نجزم به، كما لا نطيع بخطأ من فضل عليهم الملائكة . وهم ابن حزم والمعتزلة وكثير من الأشعرية، منهم الإمام الرازي في بعض كتبه، لأن بعض الأدلة يقتضي ذلك، مثل قوله ﷺ: «لَنْ يَسْتَكْفِيَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ» [النساء: ١٧٢]، فهذه الآية تفيد أفضلية الملائكة على عيسى ﷺ، وإن عنها علماء الأشعرية^(٢) . وأمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ، يقتضي أفضليتهم عليه، كما استنبطه بعض علماء المالكية، حسبما بينته في قصة آدم ﷺ . فالقطع بتفضيل أحد الطرفين على الآخر، لا يمكن . وإنما هو ظن غالب، يتجه إلى هذا الجانب أو ذاك، وقد نص الأشعرية وغيرهم على هذا، لكن لم يصرحوا بأن أفضلية النبي ﷺ قطعية فيما أعلم . ولعلمهم لم يتظنوا لما أثبتناه في هذا الكتاب، إلا أن الإمام الرازي لما حكى الخلاف =

(١) أي لا يقدر على شكرها . لعظم النعمة بها عظماً يجمل عن الشكر .

(٢) والذي اعتقده في خاصة نفسه - وهو الصواب إن شاء الله - أن الملائكة أفضل من الأنبياء غير إبراهيم وموسى عليهم السلام ، أما الأول: فإن الله ﷻ اختصه بالخلعة . وأما الثاني: فإن الله ﷻ كلمه تكليماً . وبذلك كانا أفضل من الملائكة .

== فى المفاضلة . ورجح تفصيل الملائكة، استثنى النبي عليه الصلاة والسلام من الخلاف، وقال: إنه أفضل من الملائكة وغيرهم بلا نزاع، فقد يفهم منه أن أفضليته عليه الصلاة والسلام قطعية، وفى الجوهرة: وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق .

هذا؛ ومن الشذوذ بمكان، ما نقله العارف الشعراني فى الباب الرابع عشر من (المتن الكبرى)، حيث قال: وقع فى سنة إحدى وأربعين وتسعمائة أن شخصاً زعم أن إبراهيم أفضل من النبي ﷺ، مستنداً إلى تعليمه عليه الصلاة والسلام للصحابة الصلاة الإبراهيمية حين سألوه: كيف نصلى عليك؟ بناء على قاعدة أهل المعاني من أن المشبه به أعلى من المشبه، ثم قال - بعد كلام فى الرد عليه -: وقد انتصر علماء مصر . وصنفوا فى الرد على هذا الشخص - بتقدير ثبوت ذلك عنه - كسيدي محمد البكري، وسيدي محمد الزملي، وناصر الدين الطهلاوي، والشيخ نور الدين الطندتاني وقرنت تلك المصنفات على رؤوس الأَشهاد، بحضرة خلائق لا يحصون .

قلت: يظهر أن ذلك الشخص كان ضعيفاً فى علم المعاني . إذ من المقرر فيه أن الغرض من التشبيه إلحاق الأدنى بالأعلى نحو زيد كالبر . أو إلحاق متأخر بسابق فى معنى من المعاني، من غير ملاحظة تفاوت بينهما فيه، والصلاة الإبراهيمية من هذا القبيل . إذ أن معناها: اللهم صل على محمد كما حصلت منك الصلاة على إبراهيم . وليس هنا أدنى ولا أعلى . لأن الصلاة على إبراهيم منوَّها نبوته، لا أفضليته . ونظير هذا قوله ﷺ: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» [النور: ٥٥]، شبه الله فى هذه الآية استخلاف الأمة المحمدية - وهى المشبه - أعم وأكمل من استخلاف اليهود المشبه به، وهذا واضح لا خفاء فيه . فاستشكال التشبيه فى الصلاة الإبراهيمية، أو أخذ أفضلية إبراهيم منه، ناشئ عن ضعف فى علم المعاني، أو نسيان لقواعده . وحكى الشعراني أيضاً فى (طبقات الأولياء) عن العارف أبى الموهب الشاذلى . أنه قال: وقع بينى وبين شخص من الجامع الأزهر، مجادلة فى قول صاحب البردة:

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

وقال: ليس دليل على ذلك . فقلت له: قد انعقد الإجماع على ذلك، فلم يرجع فرأيت النبي ﷺ، ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، جالساً عند منبر الجامع الأزهر . وقال لى: مرحباً بحبيبي . ثم قال لأصحابه: أتدرون ما حدث اليوم؟ قالوا: لا يا رسول الله . قال: إن فلانا التمس، يعتقد أن الملائكة أفضل منى . فقالوا بأجمعهم: ما على وجه الأرض أفضل منك، فقال لهم: فما بال فلان التمس، يمتدح أن الإجماع لم يقع على تفصيلي؟! أما علم مخالفة المعتزلة لأهل السنة، لا تقح فى الإجماع؟! .

قلت: وقع من بعض المتحدثين أقبح من هذا فقد رأى تأليفى «الأحاديث المنتفاة فى فضائل سيدنا رسول الله، وهو كتاب انتقيته من الأحاديث الصحيحة، فاستماره منى، ولما رده بعد قراءته، قال لى: أنت إمام فى تأييد الخرافات . فاعتبر الأحاديث الصحيحة الثابتة فى فضل النبي ﷺ، وفى ذكر بعض معجزاته خرافات، وهذا مما دعانى إلى التعميل بتأليف هذا الكتاب الذى سميت (دلالة القرآن المبين . على أن النبي أفضل العالمين) وسجد القارئ فيه ما يجدد إيمانه، ويقوى عقيدته ويفهم به مناظره إن كان لا يقنعه الإجماع، ولا يلتزم السنة . ويجب أن أشير إلى أمرين هامين:

والأول: قد يظن بعض الناس إلى أن أفضلية النبي ﷺ، ليست ذات أهمية فى الدين، وهذا خطأ كبير ممن يظنه، بل لها أهمية كبرى، لأن تصحيح العقيدة يتوقف عليها، لاسيما فى هذا العصر الذى كثر فيه الجهل بالدين أصوله وفروعه .

ولقد سئل بعض أهل العلم مرة: ما الدال على أن النبي ﷺ أفضل من نوح ﷺ؟ مع أن نوحاً لبث يدعو إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، بنص القرآن فلم يسمعه علمه بالدليل .

وقال لى بعض الصنفين مرة: أنا اعتقد أن عيسى أفضل من النبي عليهما الصلاة والسلام . قلت: لم ذلك؟ ==

== قال: لأن عيسى ولد من غير أب، فلم يكن من النطفة المستندرة. قلت له: فعلى هذا تكون ناقة صالح ﷺ أفضل من عيسى أيضاً. لأنها خرجت من صخرة، ولم تخرج من الفرج الذى هو مخرج البول! ولو كان التفضيل منوطاً بهذا، كان آدم ﷺ أفضل الرسل على الإطلاق، لأنه خلق من غير أب ولا أم، فلم تقذفه نطفة، ولا ضمه رحم. ولأنه عاش ألف سنة، كما فى الصحيح، دعا فيها أولاده إلى الله ﷻ. ولكن التفضيل فى الحقيقة، منوط بخصال الكمال التى يتحلى بها النبى، مع المزايا التى يهبها الله ﷻ له. على هذا الأساس يتفاضل الرسل والأنبياء وغيرهم، وهذا الأساس نفسه، هو مبنى أفضلية النبى ﷺ. أما خصال الكمال التى كان يتحلى بها فينبت عنها قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَمَلَكٌ خَلْقٌ عَظِيمٌ﴾ [القلم: ٤]، ولم ينبت بهذا على نبى ولا رسول. فأفاد أنه متفرد بهذا الخلق. وسئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان خلق رسول الله ﷺ؟، فقالت: كان خلقه القرآن. ومعنى هذا الجواب الوجيز الجامع: أن ما فى القرآن الكريم من أخلاق وآداب وفضائل ومكارم يتمثل فى شخصه عليه الصلاة والسلام. ولذا قال البوصيرى رحمته الله:
**فاق النبيين فى خلق وفى خلق
 ولم يدانوه فى علم ولا كرم**

وأما المزايا التى يوهبها الله إياها فكثيرة. مثل دفاع الله عنه، وندائه بوصف النبوة والرسالة، ونهى المؤمنين أن ينادوه باسمه المجرد، وتجنيد الملائكة للقتال معه، وإنذارهم على لسانه، وعموم بعثته، وختمه للنبوة، وإقسام الله بحياته، وغير ذلك مما يتحدث عنه هذا الكتاب.

ولاشك أن إثبات هذه المزايا، وتلك الأخلاق له ﷺ، واعتقاد اتصافه بها، واجب شرعاً. تتوقف عليه صحة عقيدة المسلم، كما صرح به العلماء لأن كتاب الله يتحدث بها فى صراحة ووضوح. به السنة المتواترة والإجماع عليها من الأمة بجميع فرقها. وهذا معنى أفضليته عليه الصلاة والسلام. لأننا نعلم أنه لا يوجد نبى ولا رسول ولا ملك جمع هذه الصفات كلها غيره. وإذا فلا يوجد من يساويه، فضلاً عن أن يفوقه. ومن هنا قطعنا بأفضليته عليه الصلاة والسلام، كما قطعنا بخطأ من فضل الملائكة أو الرسل عليه، وهو - أعنى من فضل ملكاً أو رسولاً عليه - إما متناقض لاعتقاده ثبوت معنى الأفضلية له ﷺ، مع إثبات لفظها لغيره. وإما غافل عن أن ثبوت المعنى لشيء، يلزمه ثبوت اللفظ لذلك الشيء، ضرورة أن اللفظ لازم للمعنى وتابع له.

والثانى: قد يقال: جاءت أحاديث تفيد عدم أفضلية النبى ﷺ، وهى قوله ﷺ - لمن قال له: يا خير البرية - «ذاك إبراهيم» (١)، وقوله ﷺ: «لا تفضلونى على يونس»، وقوله ﷺ: «يصمق الناس فأكون أول من يغيق فإذا موسى باطش بالعرش فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصعته يوم الطور»، وقوله ﷺ - من حديث - «عرفت فضل علمه بالله على» يعنى جبريل عليه السلام. ولنا فى الجواب عن هذه الأحاديث مسلكان:

«الأول» الترجيح. وذلك أن الأحاديث المذكورة أخبار آحاد، والأفضلية ثابتة بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، فتكون راجحة بلا نزاع.

«الثانى» الجمع. وهو من وجهين:

وأحدهما: أن تلك الأحاديث خرجت مخرج التواضع، مع الإشارة إلى حفظ رتبة يونس عليه السلام، حتى لا يتسرب إلى النفوس ما يغض من مقامه الكريم، بالنسبة لما حصل له، على أن حديث الصمق لا علاقة له بالأفضلية، لأن موسى عليه السلام إن كان لا يصمق يوم القيامة، مجازاة له بصعته يوم الطور، فالأمر واضح. وإن كان يصمق ويغيق أول واحد فتلك ميزة حقاً؟ يقابلها من جانب النبى ﷺ فى ذلك اليوم مزايا: أهمها الشفاعة العظمى التى يتأخر عنها موسى نفسه، ويتقدم لها نبيها ﷺ. تتلوها شفاعات منه مقبولة. حتى يقول له مالك خازن النار: ما تركت لغضب ربك فى أمثك من بقية. وحتى يناديه ربه: أقد رضيت يا محمد؟، فيقول: ألا رب رضيت. ثم تقدمه لباب الجنة يستفتحها، فيقول له خازنها: بك أمرت ألا أفتح لأحد قبلك. ==

(١) هذا الحديث يفيد أنه أفضل الخلق بعد نبينا ﷺ. ثم يليه موسى.

الجاهل، وأثبت أفضلية النبي ﷺ بأدلة من الكتاب والسنة بحول الله وتوفيقه .

وأول خطأ في كلام هذا المبتدع: دعواه وجود الخلاف في المسألة، وأنه موجود في (شرح العقيدة الطحاوية)^(١)، والخلاف الموجود في الكتاب المذكور، هو في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة بوجه عام، ولم يتعرض لأفضلية النبي ﷺ، لأنها مجمع عليها بين العلماء، ولم يشذ عن إجماعهم إلا اثنان: ابن حزم^(٢) والزمخشري^(٣)، وشذوذهما لا يؤثر، بل الإجماع

== «ثانيهما» أن تلك الأحاديث صدرت من النبي ﷺ قبل أن يعلمه الله بأفضليته عنده . بيان ذلك: أن الله ﷻ والى إفضاله على نبيه وقتاً بعد وقت، ولحظة بعد لحظة . فكان أول ما قال له في الإنذار ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ثم ﴿وَلْيُنْذِرْ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] ثم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ نَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ثم صرف إليه الجن، ويعنه إليهم أيضاً . ثم عم بعثته فقال: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ثم أسرى به وأراه من آياته، ما زاده رفعة وعلواً . ثم لما أمره بالجهاد أمر الملائكة بأن يجاهدوا معه، ويكونوا من جنده، وهكذا كلما مرت على النبي ﷺ لحظة، زاد في نفسه فضلاً، ونال من موله موهبة، وكلما نزلت عليه آية أو سورة ازداد بها علماً وقرباً . فكان علمه بأفضليته على المخلوقات، متأخراً عن صدور تلك الأحاديث منه . وقد قال ﷺ بعدها: «أنا سيد ولد آدم» وقال أيضاً: «رأيت ربي - يعني في المنام - في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: فيم يختصم الملائ الأعلی؟ قلت: لا أدري يا رب، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها في صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفت» الحديث وهو صريح في أن الله تجلى عليه بصفة العلم، فكشف له عن كل معلوم، وبناء عليه يكون أعلم من جبريل ﷺ، ولما شمس البراق حين أراد النبي ﷺ .

وهذا الحديث يرد ما أفاده كلام الغزالي في أواخر كتاب التفكير في الإحياء . من أعلمية الملائكة المقربين على النبي ﷺ، حيث قال - أثناء بيان تفاضل المخلوقات في العلم - وكل ما عرفناه قليل نزر حقير، بالإضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء، وما عرفوه قليل نزر حقير، بالإضافة إلى ما عرفه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما عرفوه قليل بالإضافة إلى ما عرفه محمد ﷺ، وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالإضافة إلى ما عرفه الملائكة المقربين، كإسرافيل وجبريل وغيرهما أهد . وهذا خطأ لا ندري كيف وقع فيه؟ وقد رد عليه القطب الكبير عبد العزيز الدباغ في (كتاب الإبريز) .

ولما شمس البراق حين أراد النبي ﷺ ركوبه ليلة الإسراء، قال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه، فرفض البراق عرقاً . وجبريل ركب البراق مع الأنبياء، فهذه شهادة منه بأن النبي ﷺ أفضل منه ومن الأنبياء ﷺ .

(تنبه) حديث «عرفت فضل علمه بالله علي» رواه البزار من حديث أنس، وفي محفوظي أن إسناده ليس على شرط الصحيح . وبقية الأحاديث المذكورة كلها صحيحة، وبالله التوفيق .

انظر دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين للمؤلف ﷺ القاهرة ص ٦ : ١٢ بتصرف .

(١) بالاطلاع والقراءة في كتاب (شرح الطحاوية في العقيدة السلفية) تأليف علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفی قد تكلم عن المفاضلة بين الأنبياء والملائكة فقط وأفاض في ذلك من ص ١١ : ٢٣ الجزء الثاني ﷺ المعارف - الرياض ١٩٨٢ تحقيق الدكتور عميرة .

(٢) ابن حزم على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، عالم الأندلس في عصره ولد بقرطبة . وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارة وتدبير المملكة . فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف . فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة بعيداً عن المصانعة وانتقد كثيراً من العلماء والفقهائ . ==

حجة عليهما .

وبلغنى عن هذا المبتدع أن ينكر الإجماع^(١)، مثل بقية مبتدعة العصر، مستندين إلى قول
نُسب إلى الإمام أحمد في نفى الإجماع، وهو خطأ عليه .

قال ابن القيم في «إعلام الموقعين»^(٢): (ولم يكن - يعنى أحمد - يقدم على الحديث

== وله مؤلفاته الكثيرة منها: الأحكام لأصول الأحكام - الزهد فى الرذائل - الفصل فى الملل والنحل - طرق الحماة .
توفى أواخر شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة .

(١) الزمخشري: هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن الحنفى المعتزلى الملقب بجار الله ولد سنة ٤٦٧هـ بقرية تسمى
زمخش من قرى خوارزم، تنقل بين كثير من البلاد وأخذ العلم من كبار العلماء وتلمذ عليه الكثيرون، وهو إمام فى
التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب .

ومن مؤلفاته: أساس البلاغة فى اللغة - المفصل فى النحو - رؤوس المسائل فى القصة - الكشف . توفى: ٥٣٨هـ .
(٢) حكم منكر الإجماع: الأثر المرتب على القطع بحجية الإجماع أو ظنيته يظهر فى حكم إنكاره فمن قال أنه قطعى
حكم بكفره من أنكره، ومن قال بظنيته لم يحكم بكفره .

وفى ذلك يقول الأمدى: واختلفوا فى تكفير جاحد الكم المجمع عليه فأثبت بعض الفقهاء، وأنكره الباقون، مع
اتفاقهم على أن إنكار حكم الإجماع الظنى غير موجب للتكفير .

والخيار إنما هو التفضيل: وهو أن حكم الإجماع أما أن يكون داخلاً فى مفهوم اسم للإسلام كالعبادات الخمس،
ووجوب اعتقاد التوحيد والرسالة أو لا يكون كذلك، كالحكم بحل البيع وصحة الإجارة ونحوه فإن كان الأول فجاحده كافر
لنزيلة حقيقة الإسلام له وإن كان الثانى فلا ومن ذهب مذهب الأمدى: ابن مفلح، وابن الحاجب، والطوفى وغيرهم .
وقال القاضى أبو يعلى، وأبو الحطاب وغيرهما: لا يحكم بكفره، وإنما يكون فاسقاً .

وفى المحلى على جمع الجوامع: جاحد المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة والصوم، وحرمة الزنا
والخمر كافر قطعاً لأن جحده يستلزم تكذيب النبى ﷺ وما أوهمه كلامه الأمدى وابن الحاجب أن فيه خلافاً، ليس بمراد
لهما وكذا المجمع عليه المشهور بين الناس، المنصوص عليه، كحل البيع جاحده كافر فى الأصح، وقيل: لا يجوز أن
يخفى عليه .

(٣) ابن القيم: هو محمد بن أبى بكر بن سعد بن حريز الزرعى ثم الدمشقى، الملقب بشمس الدين المكنى بأبى عبد الله
 والمعروف بابن قيم الجوزية ولد عام ٦٩١ - كان رجلاً طيب القلب واسع الصدر، كثير التودد لا يحد أحداً ولا يحقد
عليه، ولا يؤذى شخصاً ولا يستعيبه .

ومن مؤلفاته: زاد المعاد - شفاء العليل - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعلقة والجهمية - هداية الحيارى
من اليهود والنصارى .

أن مقامه المحمود: هو كون آدم ومن دون تحت لوائه يوم القيامة من أول عرضاتها إلى دخولهم الجنة، وإخراج
من يخرج من النار فأول مقاماته المنادى وتحميد ربه وثناؤه عليه بما ذكر وبما ألهمه محامده ثم الشفاعة من إراحة
للعرض وكرب المحشر، وهذا مقامه الذى حمده فيه الأولون والآخرون ثم شفاعته لمن لا حساب عليه من أمته، ثم لمن
يخرج من النار، حتى لا يبقى فيه من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ثم يتفضل الله ﷻ بإخراج من قال: لا إله إلا
الله، ومن لم يشرك بالله شيئاً، ولا يبقى فى النار إلا الخلدون وهذا آخر عرصات القيامة ومناقل الحشر فهو فى
جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء الحمد ﷻ .

الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف الذى يسميه كثير من الناس إجماعاً . وقد كذب أحمد من ادعى هذا الإجماع، وكذلك الشافعى . قال فى رسالته: ما لا يُعلم فيه خلاف فليس إجماعاً) .

فهذا هو الذى أنكره الإمام^(١) أحمد والشافعى^(٢) من دعوى الإجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده .

وقال غيره: أنكر الإمام أحمد الإجماع الذى يحكيه الأصمّ وبشر المريسى على آرائهما، مع جهلهما بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف، والإمام أحمد نفسه حكى الإجماع فى مسائل معروفة عند الحنابلة .

ولا تغتر باستبعاد الشوكانى فى «إرشاد الفحول»^(٣) لإمكان الإجماع، وإمكان نقله، متأثراً بكلام النظام المعتزلى^(٤)، وزاد فنقل عن الإمام أحمد أنه قال: من ادعى وجود لإجماع

(١) هو الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيبانى إمام المذهب الحنبلى وأحد الأئمة الأربعة أصله من مرو وكان أبوه والى

سرخسى ولد ببغداد عام ١٦٤هـ سافر إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن وغير ذلك . صنف المسند فى الحديث (٢) هو محمد بن إدريس بن العباس بن شافع أبو عبدالله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب الشافعية . ولد فى غزة بفلسطين عام ١٥٠هـ وحمل منهلاً إلى مكة وزار بغداد وقصد مصر وترقى بها عام ٢٠٤هـ . أفتى وهو ابن عشرين سنة له تصانيف أشهرها كتاب الأم جمعه البويطى .

(٣) كتاب (إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) للإمام الحافظ محمد بن على الشوكانى قد فتح آفاقاً واسعة للبحث والمناقشة وأضاف إلى علم الأصول وإضافات جديدة، وفتح أمام العلماء أبواباً من البحث والاجتهاد من خلال عرضه آراء العلماء، ومستندهم فى كل مسألة بعد تحرير محل الخلاف ومنشئه ثم بمناقشة كل دليل وبيان الراجح من المرجوح .

(٤) النظام وبعض الشيعة قالوا بإحالة إمكان الإجماع وحجتهم فى ذلك:

إن اتفاقهم على الحكم الواحد، الذى لا يكون معلوماً بالضرورة محال، كما أن اتفاقهم فى الساعة الواحدة على المأكول الواحد، والتكلم بالكلمة الواحدة محال .

وأجيب: بأن الاتفاق إنما يمتنع فيما يستوى فيه الاحتمال كالمأكول المعين، والكلمة المعنية أما عند الرجحان بقيام الدلالة أو الإمارة الظاهرة فلك غير ممتنع، وذلك كاتفاق الجمع العظيم على نبوة نبينا محمد ﷺ .

قالوا ثانياً: إن اتفاقهم فرع تساويهم فى نقل الحكم إليهم، وانتشاره فى الأقطار يمنع نقل الحكم إليهم . وأجيب: بمنع كون الانتشار يمنع ذلك مع جدهم فى الطلب، وبحثهم عن الأدلة وإنما يمتنع ذلك على من قعد فى قمر بينه لا يبحث ولا يطلب .

قالوا ثالثاً: الاتفاق إما عن قاطع أو ظنى وكلاهما باطل: أما القاطع فلأن المادة تحيل عدم نقله، فلو كان لنقل، فلما لم ينقل :- علم أنه لم يوجد كيف ولو نقل لأغنى عن الإجماع وأما الظنى: فلأنه يمتنع الاتفاق عادة لاختلاف الأفهام وتباين الأنظار . =

فهو كاذب، ولفظ (وجود) لم يقله أحمد، بل أضيف إليه ممن ينكرون الإجماع^(١).

والشوكاني كان زيدياً معتزلياً^(٢) - والزيدية معتزلة - ولما ترك مذهبه وانضم إلى أهل السنة، بقي عنده بقايا من أثر الاعتزال، منها إنكار الإجماع.

ونظير هذا أن كعب الأحبار كان من علماء اليهود، وهم لا يعتقدون عصمة الأنبياء فلما أسلم بقيت معه عاداته تلك، فكان في قصصه عن الأنبياء ينسب إلى بعضهم ما ينافي العصمة، من غير شعور منه بما فيها من خطر.

وأوضح دليل على وقوع الإجماع ما نشاهده من اجتماع أصحاب المذاهب على قول

== وأجيب: يمنع ما ذكر في القاطع إذ قد يستغنى عن نقله بحصول الإجماع الثاني هو أقوى منه، وأما الظنى فقد يكون جليلاً لا تختلف فيه الأفهام ولا تباين فيه الأنظار فهذا أعنى يمنع إمكان الإجماع في نفسه هو المقام الأول.
(إرشاد الفحول ص ٢٨٧ - ٢٨٨).

(١) هذا كلام منقول من كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام الشوكاني دار الكتب ص ٢٩٠.

ويعلق فضيلة الدكتور شعبان محمد إسماعيل محقق هذا الكتاب على هذا الكلام فيقول:
والنقل عن الإمام أحمد في هذه المسألة متضارب ومختلف فهناك العديد من النصوص التي تدل على اعتباره الإجماع أصل من أصول مذهبه، كما نقل حسنه إنكاره وقد وفق ابن تيمية بين هذه النقول فقال: «الذي أنكره أحمد دعوى إجماع المخالفين بعد الصحابة أو بعدهم وبعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة المحموده، ولا يكاد يوجد في كلامه احتجاج بإجماع بعد عصر التابعين، أو بعد القرون الثلاثة مع أن صغار التابعين أدركوا القرن الثالث، وكلامه في إجماع كل عصر إنما هو في التابعين، ثم هذا منه نهى عن دعوى الإجماع النطقى، وهو كالإجماع السكوتى، أو إجماع الجمهور من غير علم بالخلاف»
انظر المسودة لابن تيمية ص ٣١٦، ٣١٧.

والخلاصة: أن الإمام يرى أن نقل إجماع الجميع في مسألة ما يحتاج إلى الوقوف على جميع آراء المجتهدين في كل مكان وهذا أمر عسير، خاصة في القرون المتأخرة وهذا هو ما قال الإمام الشافعى في كتاب «إبطال الاستحسان»: «لست أقول ولا أحد من أهل العلم هذا مجتمع عليه إلا لما تلقى علماً أبداً إلا قاله كذلك، وحكاه عن قلبه كالظهر أربماً وكتحريم الخمر، وما أخبه ذلك . أهـ».

(٢) هو محمد بن علي بن عبدالله الشوكاني ولد سنة ١١٧٣هـ نشأ بصنعاء . أخذ في طلب العلم وجد في السماع من العلماء ومطالعة كتب الأدب والتاريخ حتى صار إماماً يعمل عليه في التفسير والحديث والفقه .

وقد تفقه على مذهب الزيدية .. ثم ترك التقليد واجتهد .

ومع أن الزيدية تأثروا بمذهب المعتزلة وأخذوا عنهم كثيراً من معتقداتهم إلا أن الشوكاني لا يميل إلى الأخذ بآرائهم ويعارضهم ويرد عليهم في كثير من المسائل .

وقد كان - أميناً في كل ما ينقل، ينسب الآراء لأصحابها ويستدل كل رأى - غالباً - لم يناقش ويخرج بالراجح في كل ما يقول وربما كان له رأى خاص ينفرد به عن سائر العلماء كما يمتاز بعدم التصب لمذهب معين اللهم إلا أن يكون الحق مع فؤيق من العلماء فيدافع بقوة، ويبين وجه الحق مدعماً بالدليل الواضح .

الإمام في المسائل الفرعية، مثل اجتماع المالكية على أن فرائض الوضوء سبعة، واجتماع الشافعية على أنه ستة، واجتماع الحنفية على أنها أربعة، مع انتشارهم من القارة الإفريقية إلى آسيا والهند، وفيهم علماء كبار بلغوا درجة الاجتهاد، بل صرح كثير منهم أن اجتهادهم وافق طريقة الإمام التي اختاروا السير عليها .

فاجتماعهم على قول إمام، دليل على أن اجتماع المجتهدين على حديث النبي ﷺ أولى بالإمكان، وأجدر بالوقوع، ولا التفات إلى ما أبداه النظام ومن شايعه من إيرادات متمحّلة، حتى قالوا: من يدرينا لعل أحد المجتهدين رجع عن قوله؟ أو وافق ظاهراً لا باطناً؟ ونحو هذا من السخافات!!

ولهذا البحث بقية في كتب الأصول^(١) .

(١) الإجماع في اللغة : يطلق على معنيين :

أحدهما : العزم على الشئ والتصميم عليه قال ﷺ : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْزَجُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [يونس: ٧١] ، ﴿ .. وَاجْتَمِعُوا أَنْ يَكْمُلُوهُ فِي عَيَاةِ الْحَبِّ ﴾ [يوسف: ١٥] .

وقوله ﷺ : « من لم يجمع من الليل فلا صيام له » .

ثانيهما : الاتفاق . يقال : أجمع القوم على كذا أى : اتفقوا عليه .

وقوله ﷺ : « لا تجتمع أمتي على ضلالة » .

اصطلاحاً : عرفه الإمام الغزالي بأنه : اتفاق أمة محمد ﷺ خاصة على أمر من الأمور الدينية .

عرفه صدر الشريعة : اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ فى عصر على حكم شرعى .

آراء العلماء فى حجية الإجماع :

اختلف العلماء فى حجية الإجماع على عدة مذاهب :

المذهب الأول : الجمهور ، والأئمة الأربعة والإمام أحمد بن حنبل والخوارج قبل حدوث الفرقة : أنه حجة شرعية فى أى عصر من العصور - وليس قاصراً على عصر الصحابة - من توفرت أركانه وشروطه .

المذهب الثانى : داود الظاهرى واتباعه والإمام أحمد فى إحدى الروايات عنه : أن الإجماع حجة شرعية ، ولكنه مقصور على إجماع الصحابة فقط .

المذهب الثالث : جمهور الشيعة الإمامية أن الإجماع حجة بشرط أن يكون مع المجمعين الإمام المعصوم . فهم لا يعتبرون الإجماع حجة فى حد ذاته ، وإنما لأنه كاشف عن قول الإمام المعصوم ، فإذا كان الإمام غير موجود فلا يحصل إجماع أصلاً .

المذهب الرابع : مذهب النظام والقاشانى - من المعتزلة - والخوارج والشيعة . وهو ما ذهب إليه الشوكانى : أن الإجماع ليس بحجة مطلقاً . ولا يصلح أن يكون دليلاً شرعياً .

ولا نذكر آراءهم لأنه ليس مجالاً ومن أراد التوسع والاطلاع فليرجع إلى كتب أصول الفقه ونقول : أن المنكرين لحجية الإجماع لن يأتوا بأدلة يمول عليها بل هى شواهد عامة بعيدة الدلالة عن موضوع النزاع ، فالتشكيك فى حجية الإجماع تشكيك فى أمر واقع لا يمكن إنكاره إلا لمن يعمى عينيه عن رؤية نور الشمس فى وضوح النهار .

وبعد، فإن الدليل على أفضلية النبي ﷺ على الخلق أمور:

أولاً: قول الله ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، رحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ورحمة لمن كفر به أن يعافى مما كان يصيب الأمم السابقة من العذاب في الدنيا بالخسف والمسح ونحو ذلك، ورحمة للملائكة أنهم آمنوا بالعاقبة بشاء الله عليهم في القرآن، ولم يكونوا يأمونها. فهو بهذا أفضل منهم.

ثانياً: قول الله ﷻ في حق الملائكة: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بِنَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ {الأنبياء: ٢٩}.

والدليل في هذه الآية من وجهين:

الأول: بيّنه ابن عباس ل بقوله: إن الله ﷻ فضل محمداً ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء.

قالوا: يا ابن عباس ما فضله على أهل السماء؟

قال: لأن الله ﷻ قال لأهل السماء: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَيْسَ بِنَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وقال الله ﷻ لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا^(١) لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُسَمِّنَ لَكُمْ بَيْتَكُمْ عَلَيْكُمْ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا^(٢)﴾ [الفتح].

قالوا: يا ابن عباس ما فضله على الأنبياء؟

قال: لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤].

وقال الله ﷻ لمحمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: ٢٨]، فأرسله الله ﷻ إلى الأنس والجن.

رواه البيهقي في «دلائل النبوة»: ٤٨٦/٥.

الثاني: بيّنه الحافظ السيوطي حيث قال: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي ﷺ في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال ﷻ: ﴿وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾

[الأنعام: ١٩] ، فثبت بذلك إرساله ﷺ إلى الملائكة . انتهى .

من «تزيين الأرائك في إرسال النبي إلى الملائكة» ، والرسول أفضل من المرسل إليهم .

ثالثاً: قول الله ﷻ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] .

أخرج البيهقي عن ابن عباس قال: ما خلق الله خلقاً أحب إليه من محمد ﷺ ، وما سمعت الله ﷻ أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] ، وحياتك إنهم لفى سكرتهم يعمهون . دلائل النبوة: ٤٨٨/٥ .

قال الإمام السيوطي^(١) في «الإكليل»: واستدل بها أحمد بن حنبل على أن من أقسم بالنبي ﷺ ، لزمته الكفارة .

قلت: وجه الدلالة من الآية أن الله ﷻ لم يقسم بحياة نبي ولا ملك .

وفسر الزمخشري الآية على إضمار فعل مقدر، أى قالت الملائكة للوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] ، وقد ضعفه ابن القيم، والأصل عدم التقدير .

رابعاً: المقام المحمود الذى خصصه الله به، دون الملائكة والأنبياء .

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَنفَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] .

روى أحمد وابن جرير والترمذى عن أبى هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ فى قوله ﷻ: ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ، وسئل عنها؟ قال: «هى الشفاعة» قال الترمذى: هذا حديث حسن قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذى يقومه محمد ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم^(٢) . أهـ .

(١) هو الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد السيوطى . حفظ القرآن وهو صغير وحفظ كثيراً من التوتون وتلمذ على خمسين من علماء عصره .

من مؤلفاته: ترجمان القرآن - الدر المنثور - توفى ٩١١هـ عن ستين سنة رحمه واسعة .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى . ولد سنة ٢٢٤هـ رحل إلى كثير من الأقاليم طلباً للعلم وذهب إلى مصر والشام والعراق وكان آخر طوافه لبغداد كان حافظاً لكتاب الله بصيراً بمعانيه . عالماً بالسنن ==

وقال ابن كثير: أى أفعّل الذى أمرتك به، لتقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً يحمّدك فيه الخلاق تبارك وتعالى . أهـ .

وأحاديث الشفاعة العظمى مخترجة في الصحيحين وغيرهما^(١)، مع بيان أنها من خصوصيات النبي ﷺ . وهى متواترة^(٢) .

خامساً: وإن ذهبنا إلى القول الذى تفرد به مجاهد في المقام المحمود: إنه إجلال النبي ﷺ على العرش فهو أيضاً خاص به، لم ينله نبى ولا ملك . وهذا ظاهر، لا خفاء فيه .

سادساً: روى الترمذى من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسرى به ملجماً مُسرجاً فاستعصب عليه، فقال له جبرائيل: أبمحمد تفعل هذا؟! فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض عرقاً .

حسنه الترمذى، وصححه ابن حبان .

== وطرقها صحيحها وسقيمها . ناسخها ومنسوخها . فقيهاً عارفاً بأحوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم . ومن مؤلفاته: جامع البيان - تاريخ الأمم والملوك - القراءات - تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين يقول عنه ابن خلكان: أنه كان من الأئمة المجتهدين لا يقلد أحداً . والظاهر أنه كان شافعيّاً قبل أن يبلغ مرتبة الاجتهاد أهـ .

(١) عن أبى بن كعب عن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر» . رواه الترمذى وقال: حسن .

• عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها، ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر» . (أخرجه الترمذى فى سننه وقال حديث صحيح) .

• عن أبى هريرة رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله ... من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث أن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه . (أخرجه البخارى) .

• عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب . أدخل الجنة من فى قلبه خردله، فيدخلون ثم أقول: أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شىء . (أخرجه البخارى) .

• عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة» . (رواه البخارى فى باب صفة الجنة والنار) .

(٢) المقصود بالتواتر هنا ما اشتركت فيه الروايات من الشفاعة لا لفظاً واحداً منها بخصوصه وهذا النوع من التواتر فى السنة كثير .

قال السهيلي: إن البراق استصعب عليه ﷺ لبُعد عهده بركوب الأنبياء قبله .

وهذا الحديث يفيد أفضلية النبي ﷺ على جبريل عليه السلام، لأنه ركب البراق مع النبي ﷺ، كما ثبت في حديث حذيفة عليه السلام، وقد خاطب البراق بقوله: ما ركبك أحد أكرم على الله منه، والمخاطب - بكسر الطاء - داخل في عموم خطابه، كما تقرر في علم الأصول .

وأما ما يقال: إن جبريل عليه السلام كان آخذاً بركاب النبي ﷺ وهو على البراق، فمن وضع الجهلة القصاص .

وقد حصل بيني وبين الشيخ محمد الشرييني من تلاميذ الشيخ الألباني، نزاع في هذه المسألة حيث زعم صحة هذه الخرافة، وأثبت له بطلانها، بما نقلته من كتاب «فتح الباري» للحافظ ابن حجر .

ومثل هذا التعبير لا يليق بمقام جبريل عليه الصلاة والسلام لأن الله ﷻ أثنى عليه ثناءً كبيراً في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠)﴾ [التكوير]، فلا يجوز أن يقال في حقه: كان خادماً للنبي ﷺ، أو ممسكاً بركابه، أو مثل هذه العبارات .

والنبي ﷺ نفسه كان يعظم جبريل عليه السلام، ويفرح بلقائه، ويتواضع معه .

سابعها: روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله»^(١)، وله طرق في الصحيح .

فالنبي ﷺ خليل الله بنص الحديث، وهذه رتبة لم ينلها أحد من الملائكة، فهو أفضل منهم

(١) الحديث رواه الترمذي برقم ٣٦٦٢ في المناقب باب مناقب أبي بكر ﷺ .

وقال الترمذي: هذا حديث غريب . وقد ذكره الحافظ في الفتح وسكت عليه .

ففي رواية: إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً رواه الترمذي في مناقب أبي بكر رقم ٣٧٣٥ عن عبد الله وأخرجه مسلم رقم ٢٣٨٣ في فضائل الصحابة باب مناقب أبي بكر الصديق ﷺ الأولى لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً والثانية ألا إني أبرأ إلى كل خل من خله .

ورواية: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» . الحديث أخرجه مسلم رقم ٥٢٢ في المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور بلفظ: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل: وإن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ... إلخ .

والخلة أفضل من المحبة، لأن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب المؤمنين، ولم يتخذ من خلقه خليلاً إلا إبراهيم والنبي ﷺ، فهما أفضل الخلق.

ثامنها: إجماع أهل السنة على أفضليته ﷺ على الملائكة، ومخالفة ابن حزم والزمخشري لا يعتبر بها لشذوذهما كما سبق التنبيه عليه^(١).

تاسعها: في صحيح البخاري عن رفاعه بن رافع الرُّقِّي - وكان من أهل بدر - قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة.

وراه البيهقي بإسناد البخاري، ولفظه: سأل جبريل النبي ﷺ كيف أهل بدر فيكم؟ قال: «خيارنا»، وقال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم خيار الملائكة.

أفاد الحديث تفضيل الملائكة الذين شهدوا بدرًا على من لم يشهدا منهم، وأنهم كانوا تبعاً للنبي ﷺ من جملة جنوده، فهو أفضل منهم.

وأختم بهذا الأثر الذي رواه البيهقي عن بشر بن شغاف الضبي، قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن سلام يوم الجمعة فقال: إن أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة، وإن أكرم خلق الله على الله: أبو القاسم ﷺ، قلت: رحمك الله فأين الملائكة، قال: فنظر إليّ وضحك فقال: يا ابن أخي، وهل تدري ما الملائكة؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض وخلق السماء وخلق السحاب وخلق الجبال وخلق الرياح وسائر الخلاق، وإن أكرم الخلاق على الله أبو القاسم ﷺ.. وذكر بقية الأثر. «دلائل النبوة»: ٤٨٥ / ٥.

(١) أجمع علماء المسلمين أن أفضل المخلوقات سيدنا محمد ﷺ سواء كانت هذه المخلوقات علوية أو سفلية أنس - جن - ملك ولا عبرة إلا بما زعمه الزمخشري من تفضيل جبريل ﷺ مستدلاً بقوله ﷺ: «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» [التكوير: ١٩].

٢- ﴿يَٰ ذِي نُورٍ حَئذْ ذِي الْمُرْشَىٰ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠].

٣- ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) ﴿[التكوير] ، حيث عد فضائل جبريل.

والرد على الزمخشري وغيره: أن هذه الآيات ليس المقصود منها المفاضلة بين جبريل ومحمد وإنما المقصود منها نفى قول الكفار وإنما يعلمه البشر، وقولهم: ﴿أَفَرَأَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كُتُبًا أَمْ يُوْحِّى﴾ [سبا: ٨] ، ليس المقصود المفاضلة بينها.

٤- المعلم الحقيقي لرسول الله ﷺ هو الله لقوله ﷺ: «الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢)» [الرحمن].

٥- مخالفة الزمخشري لعلماء المسلمين.

وهذا آخر ما يسره الله ﷻ وفتح به . وأسأل الله الذى وفقنى له وألهمنيه أن يقبله منى،
ويجعله سبباً لنيل شفاعته نبيه وخليله ﷺ .

تم تحريراً يوم الأحد فاتح شوال سنة ١٤٠٩ هـ .

والحمد لله كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على أفضل
خلقه سيدنا محمد وآله الكرام، ورضى الله عن صحابته الأئمة الأعلام .

الحمد لله وبفضله تم الكتاب

السيف البتار

لمن سب النبى المختار

أبى الفضل عبد الله بن الصديق الغمارى

رحمه الله وعفا عنه

إشراف

محمد بن على بن يوسف

اطلبوا من مكتبة القاهرة

كتب الخطب

- ١ - دعوة الإسلام ج ٢ للشيخ محمد أبو العلاء .
- ٢ - النفحات المحمدية للشيخ محمد أبو العلاء .
- ٣ - الإرشاد والتطريز .
- ٤ - ديوان خطب الشرنوبى .
- ٥ - طريق الهدى .
- ٦ - الخطب المنبرية العصرية ج ٢ .
- ٧ - الوعظ والإرشاد ج ٣ .
- ٨ - الضوء المنير .
- ٩ - أولياء الله الصالحون .
- ١٠ - أدب المجالس .
- ١١ - التحفة السنية .
- ١٢ - الإلهامات الربانية .
- ١٣ - الوعظ المختار .
- ١٤ - ذخيرة الواعظ .
- ١٥ - مشكاة الواعظ .
- ١٦ - مجالس النابلسى .
- ١٧ - حياة إبراهيم .
- ١٨ - حياة يوسف .
- ١٩ - حياة عمر .
- ٢٠ - فى ظلال الهجرة .
- ٢١ - خطب ابن حجر

**اطلبوا من مكتبة القاهرة
كتب التجانى والميرغنى والطيبى**

كتب التجانى والميرغنى والطيبى

- | | | | |
|------|--------------------------------------|------|--------------------------------------|
| ١ - | الف فتح الربــــــــــــانى | ٢٣ - | فتح الرحمن فيما يحتاج إليه |
| ٢ - | الهـــــــــدايا الربانية | ٢٤ - | الإفـــــــــــــادة الأحمدية |
| ٣ - | الياقوتــــــــة الفريدة | ٢٥ - | رفـــــــــــــع الشبهات |
| ٤ - | القنبلــــــــة الذرية | ٢٦ - | الإرــــــــشادات الربانية |
| ٥ - | مــــــــيزاب الرحمة الربانية | ٢٧ - | مولــــــــدد النبــــــــى |
| ٦ - | بلــــــــوغ الأمــــــــنى | ٢٨ - | النــــــــور الــــــــبراق |
| ٧ - | منــــــــيعة المريد | ٢٩ - | فــــــــتح الرســــــــول |
| ٨ - | مولــــــــدد القيجــــــــانى | ٣٠ - | ريــــــــاض المــــــــديح |
| ٩ - | دــــــــيوان مــــــــنعش الأبدان | ٣١ - | مجــــــــموع الأوراد الميرغنية |
| ١٠ - | مــــــــيدان الفضل والأفضال | ٣٢ - | جامع الأوراد القريبة الطيبة السمائية |
| ١١ - | الــــــــدرر الــــــــسنية | ٣٣ - | قــــــــصة المعــــــــراج |
| ١٢ - | الفــــــــيض الهــــــــامع | ٣٤ - | راتــــــــب الميرغــــــــنى |
| ١٣ - | تريــــــــاق الفهــــــــوم | ٣٥ - | منجــــــــية العبيــــــــد |
| ١٤ - | النفــــــــحة الفــــــــضلية | ٣٦ - | العقــــــــد المنظــــــــم |
| ١٥ - | الخلاصــــــــة الوفيــــــــة | ٣٧ - | مجمع الغرائب والوجدان |
| ١٦ - | غايــــــــة الأمــــــــنى | ٣٨ - | راتــــــــب الســــــــعادة |
| ١٧ - | الفــــــــوز والنجــــــــاة | ٣٩ - | شــــــــرب الكــــــــأس |
| ١٨ - | أحــــــــزاب وأوراد التجــــــــانى | ٤٠ - | كــــــــتاب الحكم للطيب البشير |
| ١٩ - | رشــــــــفات المــــــــستدام | ٤١ - | الحزب الســــــــيفى |
| ٢٠ - | أزاهــــــــير الريــــــــاض | ٤٢ - | إتحاف الخل الوفى شرح الحزب السيفى |
| ٢١ - | ســــــــر الأســــــــرار | ٤٣ - | تحفة العروس ونزهة النفوس |
| ٢٢ - | المــــــــصافــــــــاة | ٤٤ - | النمــــــــارِق المصــــــــوفة |

اطلبوا من مكتبة القاهرة

تلخيص الحبير ج ٤ ج ٢ غ	جامع تائيات الصوفية
نيل الأوطار ج ١٠ ج ٥	قرة العيون ومفرج القلب المحزون
بدائع الفوائد ج ٤ ج ٤ غ	قرة العيون فى النكاح الشرعى
رحلة الحجاز	دقائق الأخبار فى ذكر الجنة والنار
فى ظلال الهجرة	الأربعين حديث النووية
حياة آدم - حياة يوسف	اختيار الأولى
حياة إبراهيم - حياة عمر	على بن دقيق العيد
مغيث الخلق	متن الرسالة
قاعدة بغدادية	ألفية بن مالك
الإرشاد والتطريز	الوايل الصيب
الأذكىاء	بردة المديح
٦٠ سؤال وجواب	حكم بن عطاء الله
المنتخب من الدين	الله القصد المجرد
أسرار البلاغة ج ٢ ج	يتيمة الزمان ونزهة الأخوان
التذكرة فى القراءات الثلاثة ج ٢ ج	المناهل العذبة القهية
مجالس النابلسى	مؤلفات محمد بخيت المطيعى
طريق الهدى	ديوان مجنون ليلى
الخير الكثير	الصلاة مدرسة الوعى الحضارى
ملخص السيرة النبوية	تفسير المعوذتين
قوانين حكم الإشراف	تفسير سورة الإخلاص
تبرك الصحابة بآثار رسول الله	آداب العبودية
نفخ الروح والتسوية للغزالى	خواص الأعشاب
تلك عشرة كاملة	الفضيلة
أدب المجالس كما كان يفعل الرسول	ملخص حكمة التشريع وفلسفته
الواعظ الأمين	أعلام الناس بما وقع للبرامكة
الوعظ المختار	خلاصة تهذيب الكمال ج ٣ ج
المحاسن والأضداد	بدائع الفوائد ج ٤ ج غ

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٤
بيان للإمام الأكبر شيخ الأزهر	٧
فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق	٧
موقف علماء الإسلام	٩
قصتي مع هذا الكتاب	١٠
مقدمة للمؤلف	١٢
آراء العلماء فيمن سب النبي ﷺ وأدلتهم على ذلك ^٥	١٣
حكم من سب النبي ﷺ	١٩
الحرية في الإسلام ليست التهجم على الدين	٢٤
معنى قوله ﷺ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٦
موقف الدول الإسلامية من الكتب التي تهاجم الإسلام	٢٨
النبي أفضل الخلق على الإطلاق	٣١
فهرس الكتاب	٤٨